المركز القومى للترجمة

حكايات مختارة من لافونتين

تأليف: جان دو لافونتين
ترجمة: مصطفى كامل خليفة
مراجعة: جينا بسطا



1428

" إننى أحب المرح، الحب، الكتب والموسيقى،
المدينة والريف، باختصار أحب كل شىء، حتى المتعة
الكئيبة
والقلب المفعم بالحزن"

يعرف لافونتين بميله الى الهزل الذى – من خلاله- يوجد نوعا من النقد اللاذع لبعض الظواهر التى لا يرضى عنها فى مجتمعه،ويصور لنا أخلاقيات لا تقتصر على زمن معين، بل هى موجوده فى كل زمان و مكان، فهو لا يصور فقط مآسى الحياة، بل يصور مباهجها أيضا.

فنجد أن كل حكاية يقدمها لنا،كأنها مسرحية من فصل واحد، أبطالها من الطيور والحيوانات والنباتات، وأحيانا يتدخل بينهم الإنسان.

فعلى لسان هؤلاء، ينتقد الخيانة، والخبث، والغرور، والكبرياء وينصح بالرأفة والرحمة والمودة والحب والعطف، فحبه للطبيعة ـ الحقول والحدائق والزهور والأشجار والأنهار والظلال ـ دفعه إلى أن يبحث فيها عن الملجأ الذى نلوذ به بحثًا عن الأمان والسلام.

ويمتاز أسلوبه بالتنويع، وخصوبة خياله، وكل بيت شعر يمكن أن يكون لوحة فنية رائعة، ويشد من يقرؤه بعذوبته وسعة خياله والهزل الممزوج بالسخرية، وقد حاولت ترجمة الحكاية بقدر الإمكان فى جمل منسجمة مع بعضها بعضًا، ولها وقع موسيقى إلى حد ما.

حكايات مختارة من لافونتين

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : 1428
- حكايات مختارة من لافونتين
- لافونتين
- مصطفى كامل خليفة
- چينا بسطا
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :
La Fontaine
Fables
R. Radouant

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

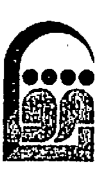
El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526
Fax: 27354554

حكايات مختارة من لافونتين

تأليف : جان دو لافونتين

ترجمة : مصطفى كامل خليفة

مراجعة : جينا بسطا



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

لافونتين ، چان دو
حكايات مختارة من لافونتين / تأليف: جان دو لافونتين؛
ترجمة: مصطفى كامل خليفة ، مراجعة : چينا بسطا
ط ١ - القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٢٢٤ ص ، ٢٤ سم
١ - القصص الفرنسية
(أ) خليفة ، مصطفى كامل (مترجم) .
(ب) بسطا ، چينا (مراجع) .
(جـ) العنوان ٨٤٣

رقم الإيداع: ٣٧٤٢ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 978-977-479-872-9
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

تقديم

لافونتين وحكاياته

ليس معروفًا بالدقة تاريخ ظهور الحكايات الخرافية المنسوبة إلى عالم الحيوان والمنقولة على ألسنة الحيوانات؛ إذ تشير بعض الروايات إلى ظهور كليلة ودمنة فى القرن الرابع الميلادى فى الهند. وثمة من يرى أن هذا النوع من الأدب كان معروفًا من قبل.

أما عبد الله ابن المقفع الفارسى الذى أرسله ذووه إلى بغداد لتعلم العربية والاندماج فى الحضارة الأكثر تقدمًا فى حينه، فقد ترجم هذه الحكايات وأضاف إليها لتصبح بذلك من أشهر الأعمال التى تحظى بإعجاب البلاط العباسى آنذاك.

الحكايات نفسها ترجمت إلى الفرنسية فى القرن الثالث عشر وأصبحت من أبرز كلاسيكيات الأدب العالمى. وقد اعترف الكاتب جان دو لافونتين نفسه فى القرن السابع عشر أنه استوحى منها - وخاصة تلك المنقولة عن الهندية - حكاياته وأمثولاته.

وها نحن نعود إليها اليوم كما عاد كثيرون من قبل لكشف وتحليل ما بها من حكمة متجددة يمكن أن تشكل قياسًا لما نعيشه اليوم فى عصرنا الحديث.

ولد الكاتب الفرنسى جان دو لافونتين، عام ١٦٢١م فى فرنسا، لإحدى العائلات التى تنتمى للطبقة البرجوازية الريفية الميسورة الحال وإن لم ترتق إلى طبقة النبلاء. ولد بإحدى مقاطعات الريف الفرنسى الجميل حيث قضى طفولته وشبابه فاكتسب بالتبعية حسًا شاعريًا رقيقًا. وكانت الفضولية الشديدة تمثل الطابع الشخصى لجان دو لافونتين، شأنه فى ذلك شأن غيره من الأدباء، فكان يكرس تلك الميزة ويركزها فى نوع من المحاكاة الأدبية للأساطير القديمة منذ سن مبكرة. ولكنه مع حساسيته المفرطة وقوة ملاحظته التصويرية وشدة الفضول الذى كان يتمتع به لم يكن يتحلى بعقل عملى واعٍ يلتقط ما يمكن أن يفيده ماديًا فلم يكن يكترث بالأعمال التجارية كما لم تشغله المكاسب المادية فعاش طيلة حياته فى اضطراب مالى وكبوات متواصلة كان لها تأثير واضح فى حكاياته.

وقد عاصر الملك لويس الرابع عشر، أعظم ملوك فرنسا إبان العصر البائد من حيث تقديره للأدب والأدباء. فدرس القانون وأصبح محاسبًا بالبرلمان الفرنسى، ولكن الوظيفة لم ترضِ نفسه المشتاقة التواقة لكافة ألوان التعبير، حيث لم تشبع رغباته النفسية وموهبته. فقد كان لافونتين شاعرًا موهوبًا يحب الحياة ويرى الجمال فى كل شىء، حتى القبح كان يراه وسيلة لتقدير قيمة الجمال.

وفى الفترة ما بين عام ١٦٦٨ إلى عام ١٦٩٤، صاغ لافونتين خرافاته فى ١٢ كتابًا تضم حوالى ٢٣٠ خرافة. وهى عبارة عن حكايات قصيرة منظومة شعرًا جميلاً على ألسنة الحيوانات والطير وبالطبع لا تخلو من حكمة أو موعظة أو أطروحة.

لم يكن لافونتين مبتكرًا فى هذا النهج من الأدب، فقد كان متأثرًا إلى حد كبير بإيزوب[(١)] الذى عاش عبدًا فى القرن السادس ق.م باليونان وصاغ الحكايات والروايات على ألسنة الحيوانات والطير خوفًا من بطش السلطان ورجال السياسة، كما كان متأثرًا بالفيلسوف فيدروس Phaedrus المعاصر لإيزوب، وكذلك اعترف أيضًا بأن الجزء الأكبر من حكاياته مستوحى من Pilpay الحكاء والفيلسوف الهندى. ولقد كانت معظم آرائه الفلسفية وخبراته الحياتية تميل إلى التشاؤم ويعزى ذلك لكونه لم يحىَ حياة أسرية سوية ولا سعيدة، فقد عاش منفصلاً عن زوجته وابنه الوحيد. ومن ناحية أخرى فقد مر بأكثر من ضائقة مالية، فلم تكن أموره مستقرة منذ تركه للوظيفة والاعتماد على المساعدات المالية المقدمة من الملك كراعٍ للفنون والآداب والتى كانت تنقطع حين يهاجم لافونتين سطوته وظلمه. والقارئ المتيقظ يسهل عليه اكتشاف تلك السمات من خلال أعمال لافونتين الأدبية المتنوعة.

---

(١) هو كاتب الخرافات الإغريقى يعسوب. وسيرد ذكره لاحقًا على لسان لافونتين فى بعض الحكايات.

وسوف يتمتع قارئنا ببعض تلك الحكايات ذات المغزى السياسى التى أوردها لافونتين منتقداً بعض الاتجاهات السياسية أو بعض التصرفات التى تنم عن الظلم الاجتماعى للملك لويس الرابع عشر "الملك الشمس".

اكتسبت خرافات لافونتين شعبية كبيرة بين الأطفال ولكن الكبار أيضًا كانوا يرونها نبعًا للحكمة والفلسفة خاصة وأن شاعراً قد صاغها فى أسلوب أدبى رفيع ممتع يعجز الكثيرون من أدباء العالم عن الوصول إليه. وقد كان ما يشغله باستمرار ويحتل معظم تفكيره، هو الطبيعة والجمال الكامن فيها من مظاهر الحياة بكافة أشكالها فى الإنسان والحيوان والطير أو حتى فى مظاهر الطبيعة الصماء. ولذا تكمن أهم مزايا لافونتين الأدبية فى جملة أراد أن يترجم بها فنه فى سرد الخرافة وهى مقولته الشهيرة "استخدمت الحيوان لإرشاد الإنسان". وقد عاش أمينًا لهذا المبدأ، حصيفًا واعيًا تارة ، وساخراً تارة أخرى وربما كان هذا هو سر خلوده.

وقد توفى لافونتين شيخًا فى عام ١٦٩٥ بعد حياةٍ حافلة بالعطاء والأحداث، وبعد أن بلغ نجاحه حدّ اختياره عضواً بالأكاديمية الفرنسية.

وقد تميز هذا الشاعر الفذ بآرائه التى تنم عن الجرأة السياسية، التى ظهرت فى إبداعاته من خلال المواعظ والحِكم التى ضمنها حكاياته الخرافية. وقد أتاحت له معرفته بالطبيعة البشرية عرض مضمون السرد

وإتقان الشكل الفنى بحيث يظهر النقد فى صورة نتيجة حتمية لحبكة الأحداث. وبالرغم من أن البعض قد حاول التشكيك فى قيمة تلك الآراء ودقتها باعتبار لافونتين لم يكن شاهداً على عصره ولكنه كان منقاداً بالتعبير عن وجهة نظر شخصية، فنعتقد أن تلك مقولة عارية تماماً من الصحة ولا مبرر لها، إذ هو ثابت أن أدباء القرن السابع عشر الكلاسيكيين بفرنسا كانوا يتجنبون الشعر الغنائى الشخصى متجهين إلى الأدب الكونى اللا شخصى أى ما يتلامس مع الحقائق والمشاعر العامة التى يتشارك فيها البشر جميعاً كالحب والعدل والمساواة، حتى أن باسكال الأديب والفيلسوف المعاصر للافونتين له مقولة شهيرة "الأنا مكروهة لدينا". وقد غلبت على شاعرنا أيضاً النزعة إلى التهكم والسخرية التى يغطى بهما نقده اللاذع للواقع المحيط به.

كانت حكايات لافونتين برغم ما بها من عمق فكرى وفلسفى تعبر عن الجانب الطفولى القابع فى نفس كاتبها حيث استمرت تلك الطفولة الهادئة البعيدة التى عاشها مصدر إمداد له ومعين لا ينضب وسط خضم حياته المستقبلة التى لم تخل يوماً من صراع أو فشل أو تحدٍ.

ولم يكتب لافونتين حكاياته دفعة واحدة ولكن هذا الجنس الأدبى لازمه طيلة فترة إنتاجه الأدبى، وكان لا يلبث أن يطل من وقت لآخر كلما دعت الحاجة لنقد موقف ما سياسى أو اجتماعى أو فنى، دون أن يثير حفيظة المسئولين أو زملاء المهنة. فقد بدأ صياغة حكاياته الخرافية منذ عام ١٦٦٤، التى تمثلت فى الستة أجزاء الأولى التى ظهرت عام ١٦٦٨،

ثم عاد وكتب مجموعات جديدة من الحكايات والخرافات فى عام ١٦٧١ . وتكمن براعة لافونتين فى المحافظة على الخيط الرفيع الذى يربط الجو العام لحكاياته وهو الديكور الخارجى لمقاطعة شاتو تييرى التى ولد ونشأ بها، وكذلك المحافظة على خصوبة الخيال الذى تزخر به الخرافات التى يرى النقاد أنها من أكمل ومن أجمل أعماله.

ولهذا، فقد اهتمت مدام دو سيفينييه - التى كانت تعد من أرقى النقاد فى ذلك الوقت - بجمع الحكايات معًا لتصبح ديوانًا كاملاً يمثل سجلاً للحياة فى تلك الحقبة الزمنية (القرن السابع عشر). كما شجعته الناقدة على ترشيح نفسه للانضمام للأكاديمية الفرنسية (التى كانت تعد أرفع منصب فكرى وأدبى فى ذلك الوقت) برغم أن معظم إنتاجه كان عبارة عن حكايات وخرافات قصيرة على غير عادة المتقدمين لتلك المناصب فى ذلك الوقت، ولكنه مع ذلك كان يعد من صفوة أدباء فرنسا.

ويضم الجزء الأول من الحكايات ما نطلق عليه اليوم "الكتب الستة الأولى" وكان مهدى لوريث عرش الملك لويس الرابع عشر - الأمير لويس - وفى هذا الجزء التزم لافونتين بمحاكاة أسلوب أسلافه من القدماء - الهنود والعرب والإغريق - ونلمح الإبداع. وهنا تتجلى عبقرية هذا الأديب الكبير على أكمل وجه.

وقد مر لافونتين فى الربع الأخير من حياته بظروف وفاة فجائية لأحد أصدقائه من الشباب. وقد أثر عليه هذا الحادث وعلى رؤيته للحياة

التى انسحبت على إنتاجه من الحكايات. ونجد أثراً واضحاً لتلك النزعة الفلسفية عن الموت والحياة الآخرة فى بعض كتاباته المتأخرة.

ولقد عرف القارئ المصرى جان دو لافونتين، كما عرفته سائر الشعوب من خلال ترجمة حكاياته وأمثاله، حيث تثقفت بها العامة فقد تضمنت الكتب الدراسية بعضاً منها ليقف عليها الطلاب، كما استوحى منها الفنانون والشعراء.

وهنا يبرز أهم أدوار الترجمة التى تنتقل بنا من أدب الشرق إلى أدب الغرب لتحقق التواصل المطلوب بين الثقافات المختلفة.. هى مختلفة ولكن فى أشكالها وتنوعها وليس فى جوهرها ومضمونها.

تتسم حكايات لافونتين بالطابع المسرحى والشعرى، وهى تخاطب الصغار والكبار على حدٍ سواء، ومن هذه الحكايات نستخلص الدرس والموعظة والحكمة.

وقد نالت الحكايات شهرة عالمية واسعة بينما حظيت باقى أعمال لافونتين الأدبية بشهرة قومية بين عشاق الأدب الفرنسى وعلى أى حال فقد حالت تلك الشهرة من انحداره إلى طى النسيان.

وربما يكون أفضل ما وجه من نقد لحكايات لافونتين أنها صالحة لعدة مستويات من القراءة لثلاثة أعمار مختلفة: فالطفل يجد لذة فى نضارة القصة وحيويتها، كما يحرص على الاطلاع عليها الطلاب المتخصصون فى الأدب والفن، وكذلك ذوو الخبرة من المفكرين فى

تأملات الحياة وما تحمله من أسرار خفية. لذلك من الطبيعى - ولن نبالغ إذ نقول - أن تصبح أعماله معياراً لمتذوقى الأدب الفرنسى فى داخل فرنسا وخارجها. وهى ليست بشهادة هينة.

وهنا يكمن الغرض من هذه الترجمة التى بين أيدينا وتعد قيمتها الحقيقية فى أنها تشير من جديد لهذا الأديب الفذ الذى لم تسبر أغوار موهبته الفريدة بعد على كثرة ما أنتج عنه من دراسات.

المراجع

جينا بسطا

أنثى الثور والعنزة والنعجة
فى صحبة الأسد

يحكى أن أنثى الثور انضمت هى والعنزة،

وأختهن النعجة[1] إلى صحبة أسد متكبر، سيد الجوار،

ويقال إنهم تشاركوا معًا فى السراء والضراء.

ذات يوم وقع أيل[2] فى شَرَك العنزة.

وفى الحال أرسلت فى طلب شركائها،

جاءوها، وبدأ الأسد يعد على مخالبه،

وقال:"عددنا أربعة لتقسيم الفريسة"

تم قطع الأيل إلى عدة أجزاء،

---

(١) أنثى الخروف، الشاة.

(٢) حيوان آكل العشب يشبه الماعز ولكن فروته طويلة.

وبصفته السيد أخذ القطعة الأولى:

قال: "لابد أن تكون لى، والسبب، لأن اسمى أسد."

ولم يــرد أحــد على ذلك.

أما القطعة الثانيــة فهى أيضًا من حقى قانونًا

أما هـذا القـانون فتعرفونـه، وهو قانـون الأقوى.

ولما كنت أنا الأشجـع، فأطالب بـالثالثـة،

ولو أى واحدة منكن لمست الرابعة، فسأخنقها فى الحال.

عصفور الجنة وصغار الطيور

يحكى أن عصفور الجنة كثير السفر والتجوال

تعلم فى أسفاره الكثير

ومن يرى بعينيه لاينسى.

كان عصفور الجنة يدرك حتى أقل العواصف قوة

قبل هبوبها، وينبئ بها النواتى.

واتفق، فى موسم زراعة الشعير

أن رأى فلاحًا يغطى الأرض بالبذور

وكان يقول للصغار: "لايروقنى هذا، وإنى لأرثى لحالكم!"

فعندما يحل بى مثل هذا الخطب الفادح

أستطيع أن أجد لنفسى ركنًا أعيش فيه.

أترون هذه اليد التى تلوح فى الهواء[1]، سيأتى يوم،

(١) المقصود هنا هو الفلاح الذى ينثر البذور بطول ذراعه.

وهـو ليس ببعيد،

يكون فيه دماركم بما تنثره وتلوح به؟

هذه اليد ستنتج أدوات لتحبسكم،

وخيـوط فخـاخ لتقبض عليكـم،

فكم من آلات ستقوم - عندما يحين الوقت - لقتلكم أو أسركم.

حـذار! دونكـم والأقفـاص والقدور[1]!

لهذا نصحهم عصفور الجنـة:

"التقطوا هذه الحبوب، وصدقونى!"

ولكن صغار الطيور سخرت منه

فقد كان لهم فى الحقـول ما يبتغـون.

وعند اخضرار نبات الشعير قال لهم عصفور الجنـة:

"إن لم تنزعـوا هذه الغصون واحداً بعد الآخر،

فأيقنـوا أنكـم هالكون لا محالـة!"

فأجابته الطيور: "يا للنبوءة المشئومة! ألا تكف عن الثرثرة؟

ذلك العمل الذى تكلفنا به، يلزمه ألف شخص

---

(١) المقصود قدر الماء المغلى حيث تسلق الطيور المذبوحة.

حتى يأتى على كل هذه المساحة!"

وحين نضج نبات الشعير تماماً،

قال لهم عصفور الجنة: "هذا الأمر على غير ما يرام؛

فتلك الحبة الرديئة قد نضجت مبكراً.

ولكن حيث إنكم حتى الآن لم تصدقونى فى شىء،

فبمجرد أن تروا الأرض وقد غطاها المحصول،

وأن الناس لم يعودوا يعبئوا به

فسوف يشنون الحرب على صغار الطيور

فعندئذ سوف ينصبون لكم الشراك والشباك ليمسكوا بكم

فالزموا أماكنكم أو غيروا مواقعكم

قلدوا البط والكركى(١) ودجاج البرية.

ولكنكم لستم قادرين مثلنا(٢) على عبور الصحارى والبحار،

أو البحث عن عوالم(٣) جديدة

---

(١) نوع من الطيور طويل الساقين والمنقار وله شوشة فوق رأسه.

(٢) لأن عصفور الجنة من الطيور المهاجرة.

(٣) جمع "عالـم".

فليس أمامكم إلا طريق واحد آمن

وهو لجوؤكم إلى فجوات الحوائـط."

ولكن صغار الطيـور ملت من سماعه

فأخذت تتصايح وتزقزق باستخفاف

فحدث لهم ما حدث فى القديم لأهل طروادة

حين لم يسمعوا النصيحة كاسندرا

ووجدوا أنفسـهم عبيـداً وأسرى.

فنحن لا نستمع إلى غرائز غير غرائزنا

ولا نصدق التحذير من الشر إلا حين يحل بنا.

فأر المدينة وفأر الحقول

يحكى أنه فيما مضى من الزمان، دعا
فأر المدائن فأر الحقول ـ بأسلوب مهذب ـ
ليتناولا ما بقى لديه من لحم بلبل الشعير
وأعد له المأدبة فوق بساط تركى من أجمل البسط،
ولك أن تتخيل ما تمتع به الصديقان من غذاء.
كانت المأدبة غاية فى الكمال والجمال لا ينقصها شىء.

ولكن جاء مَن عكر صفوهما
إذ بينما هما يتناولان الطعام
سمعا ضوضاء بالباب؛
فأسرع فأر المدينة لاستطلاع الخبر
وفأر الحقول يجدّ فى أثره.

ثم انقطعت الضوضاء وانحسرت:

يبدو أن فئران الحقول أسرعت بالمجىء؛

وبعد أن رأى فأر المدينة ما كان

قال لضيفه: "علينا أن نعجل بإنهاء الوليمة"

فأجابه فأر الغيطان قائلاً:

"لا هذا يكفى، غداً ستأتى أنت عندى.

ليس لأنى سئمت كل ولائمك الفاخرة؛

ولكن هناك فى الريف لن يعكر صفونا شىء

ويكون لدينا متسع من الوقت لنتناول فيه ما نريد

فوداعاً! فكم من متعة أفسدها الخوف"

الـــذئب والحـــمل[١]

القوى دائمــًا على حــق

وسنبرهن على ذلك فى الحـال

يحكَى أن حملاً كان يرتوى من جدول ماء عذب

عندما جـاء ذئب يدفعه الجوع إلى نفس المكـان

قــال الذئب للحمــل:

"ما الذى جاء بك إلى هنا لتعكر علىّ مشربى،

سأعاقبك على تهورك هـــذا"

فــأجابه الحمـل قائـلاً:

"سيدى أرجــو ألا يغضب سمـوك

فإننى ما جئت هنا إلا لأروى غلَّتى[٢]

(١) الخروف الصغير السن.

(٢) أروى عطشى.

وإني كما ترى سموك،

قد ابتعدت عنك عشرين خطوة

وبهذا فلا يمكن أن أعكر مشربك"

أجابه الحيوان الشرس قائلاً: "بل تعكره"

ثم استأنف: "وأنا أعرف أيضًا أنك قد ذكرتني بسوء في العام الماضي"

- أجاب الحمل الوديع: "كيف يكون ذلك،

وأنا لم أكن قد ولدت بعد!

بل كنت أرضع من أمي"

- إن لم تكن أنت، فلابد أنه كان أخاك

- ليس لي إخوة

- هو أحد أقاربك إذًا، لأنكم لم تراعوا مطلقًا

أنتم وكلابكم ورعاتكم

لقد قيل لي ذلك، فيجب أن أنتقم لنفسي

وهنالك، في قلب الغابة دون إبداء أسباب أخرى

افترسه الذئب وأكله.

الثعلب والبجعة

يحكى أن عمنا الثعلب كلف ذات يوم نفسه

ودعا للعشاء الخالة بجعة.

كانت الوليمة بسيطة وبدون تكلفة باهظة.

فكل ما أعده الماكر من أجل الوليمة،

حساءٌ خفيف القوام؛ فقد كان يقتر على نفسه.

ثم قدم هذا الحساء فى طبق.

فلم تستطع البجعة بمنقارها الطويل المفلطح الحصول على قطرة منه.

أما الثعلب فقد لعق كل الحساء فى لحظة.

أرادت البجعة أن تثأر لنفسها،

وترد هذه الخدعة؛

فوجهت إليه دعوة للعشاء عندها بعد فترة.

فقبلها قائلاً: "بكل سرور؛

لأنى مع أصدقائى لا أعمل تكليفًا."

وفى الساعة المحددة

جرى إلى بيت مضيفته البجعة
وأطنب فى مـدح أدبهـا،
ووجد العشاء مجهزًا فى وقته
فقالت البجعة: "أتمنى لك شهية طيبة خاصةً
وأنها لا تنقص الثعـالب."
تلذذ الثعلب برائحة اللحم
الذى كان مقطعًا قطعًا صغيرة شهية.
وقد قدمتـه – من أجـل إحراجـه –
فى إناء ذى عنق طويل وله فتحة ضيقة
يمكـن لمنقـار البجعـة فقط أن يمـر خلالها بسهولـة؛
ولكـن فم السيد ثعلب كان من حجم آخر
فاضطر أن يعود إلى بيته على لحم بطنه[1]
خجلاً كثعلب خدعته دجاجـة،
مطأطئ الرأس يجر أذيال الخيبة

إنى من أجلكم أكتب يا أهل الخديعة
ففى يوم ما ستقعون فريسة لنفس الخدعة

---

(١) صائمًا دون طعام.

شجرة البلوط[1] وغصن الغاب[2]

ذات يوم قالت شجرة البلوط لغصن الغاب:

"صدقت فى اتهامك للطبيعة؛

فأصغر العصافير يعتبر حمل ثقيل عليك،

وإذا هبت ريح خفيفة،

ترتجف لها بالكاد صفحة الماء،

تحنى لها رأسك صاغراً[3]

فى حين أنى أنا بهامتى الشامخة

أضارع الجبال طولاً

فلا أكتفى بأن أحجب شعاع الشمس

---

(١) نوع ضخم وقوى من الأشجار.

(٢) ما نستعمله فى سنارة صيد السمك (البوصة الطويلة).

(٣) مجبراً.

بل أيضًا أصمد لهبوب العواصف
فكل ريح تبدو لك قوية، لا تساوى بالنسبة لى
أكثر من مجرد نسيم عليل
فلو أنك نشأت فى حمى أوراق الأشجار
والنباتات التى أشملها برعايتى؛
ما كنت لتعانى:
بل كنت أنا أدافع عنك وسط العاصفة،
ولكنك تنشأ غالبًا على شواطئ
مملكة الرياح الرطبة
أرى أن الطبيعة بذلك تظلمك."
فأجابتها الشجيرة[1] قائلة:
"هذا التعاطف ينم عن طبيعة طيبة
ولكن دع عنك هذا الهم،
فالرياح لا تبدو لى كما تبدو لك مروعة

---

(١) شجيرة صغيرة.

فأنا أميـل أمامهـا ولا أنكسـر

ولكنك أنت إلى اليوم ما زلت تصمـدين أمـامها

ولا تحنين لها ظهرك ولكن العبرة بالنهاية."

وما كادت الشجيرة تنهى عبارتهـا

حتى هبـت عاصفة

من أعتى ما أتت به ريح[1] الشـمال من عواصف

فثبتت شجرة البلوط بمكانها بينما انثنى غصن الغاب

وضـاعفت الريـح شدتـها

حتى اجتثت[2] من جذورهـا

البلـوطة الشامخـة

التى تـدانى هامتها السمـاء

وتمتـد جذورهـا إلى مملكـة الأمـوات.

---

(١) ريح قوية.

(٢) اقتلعت.

الثـــوران والضفدعـــة

يحكى أن ثوريـن كانـا يتشـاجران

وعلى الفـوز بعجلـة يتنـاحـران

ويحكى أن ضفدعـة حارت بينهمـا

فقـال لهـا أحـد بنى جنسـهـا:

"مـاذا بك؟"

قالت: "ألا ترى مـا ستؤول إليه هذه المعركة؟

سوف يستبعد أحدهما الآخـــر

ويطارده حتى يهجر الحقول المزهرة

فلا يعود يملك على عشب المراعى

فسوف يأتى ليملك بعد ذلك

وسيتمـلك مستنقعاتنا ويملك نبات الغاب

وسوف يطؤوننا بأقدامهم حتى يزجوا بنا فى أعماق المياه

وبالتالى علينا أن نتحمل نتائج

المعركة التى سببتها تلك العِجلة."

وقد كانت الضفادع محقة فى خوفها

فقد ذهب أحد الثورين للاختباء بموقع إقامتها

فكان يسحق فى كل ساعة عشرين من تلك الكائنات الضعيفة.

ياللأسف فدائماً ما يتحمل الصغار

مغبة[1] ما يفعله الكبار.

---

(١) نتيجة.

الوطواط والعرستان

يحكى أن وطواطًا أدخل رأسه - بحماقة -

فى جحر عرسة؛ حتى صار بداخله.

وبمجرد أن صارت بداخل الجحر،

أسرعت العرسة لافتراسها،

وهى غاضبة من الفئران منذ زمن طويل.

فابتدرته قائلة: "ما هذا؟ هل بلغت بك الجرأة

أن تأتى إلى عقر دارى

بعد أن حرضت أبناء جنسك على مضايقتى!

ألست أنت فأرًا؟ تكلم بلا مواربة

وإلا فأنا لست عرسة."

قال المسكين الصغير:

"عفواً، أنا لست كذلك! عجباً!

أنا فـأر؟! لابد أن أشراراً قد أبلغوكِ ذلك،

لقد خلقني بارئ الكـون طـائراً؛

انظرى إلى أجنحتى

فلتحى الطـيور التى تختـرق الفضـاء!"

أعجب منطقه العرسة، وحالفه التـوفيق

بحيث أعتقته وتركته ينسحب ناجياً بعمره.

بعدها بيـومين، عاد ذلك الوطواط دون تبصر للتـورط

بالدخول عند عرسة أخرى، لديها عداوة للطيور.

وها هو من جديد، يعرض حياته للخطر.

وعادت سيدة المنزل ذات الأنف الطويل

تهم بالتهامه بصفته طائراً،

عندئذ أكد أن فى ذلك إهانـة له، وقال:

"أنا! أتحسبيننى طائراً! ألا تعرفى ما يميز الطـائر؟

إنـه الريـش.

أنـا فــأر! فلتحى الفئـران!

ولتؤذِ الآلهة القطط!"

وبهذا الـرد البليـغ الحاذق

تمكّن من إنقـاذ حياته مرتين.

كثيرون حذوا حذوها، وأنقذوا أنفسهم بتغيير

لون هويتهم، ساخرين من الخطـر.

فالعاقل بين الناس هو من يهتف في ذات الوقت

يحيا الملك! ويحيا التجمع[1].

(١) قبل الثورة الفرنسية كان الشعب ينقسم إلى فريقين: المنتمين للملك (الملكيون) والمتجمعين لمعارضة الحكم الملكي وكانوا يكابدون الاعتداء والقتل. (المراجع)

الطائر الذى أصيب بسهم

يحكى أن طائرًا أُصيب إصابة قاتلة بسهم يزينه
ريش الطيور
فأخذ ينعى قدره البائس،
ويقول والألم يعتصره:
"هل على المرء أن يشارك فى صنع مأساته!
أيها البشر القساة! أتنزعون من أجنحتنا ما ترشقونه بتلك السهام المهلكة حتى يسهل طيرانها!!
لكن لا تسخروا البتة،
أيها الأشرار الخالين من الشفقة
فكثيراً ما تواجهون مصيراً كمصيرنا.
فمن بين أبناء يافث[1] يوجد دائمًا نصف
يمد النصف الآخر بالسلاح."

---

(١) الابن الثالث لنوح عليه السلام وحسب التوراة هو جد الشعوب الهندية الأوروبية.

الكلبة ورفيقتها

يحكى أن كلبة كانت على وشك الوضع[١]

ولاتعرف أين تضع حملها الثقيل.

بحثت كثيراً حتى وافقت رفيقتها فى النهاية؛

على السماح لها بالوضع فى خصها[٢]

فدخلت إليه الكلبة وأغلقت على نفسها.

وبعد انقضاء مدة من الزمن عادت رفيقتها؛

فاستمهلتها الكلبة خمسة عشر يوماً، مدعية

أن صغارها يمشون بصعوبة.

باختصار حصلت على موافقة رفيقتها.

وعند انقضاء المدة الثانية،

---

(١) الولادة.

(٢) عش كلب من البوص.

عادت الرفيقة تطالبها ببيتها وبغرفتها وبسريرها.

في هذه المرة، كشرت الكلبة عن أنيابها وقالت مهددة:

"أنا مستعدة للانصراف بصحبة جميع صغاري

إن استطعت طردنا."

وكان صغارها حينئذ قد أصبحوا أقوياء.

دائمًا ما نندم على ما نعطيه للأوغاد

فلاستعادة ما أقرضناهم

لابد من استخدام القوة؛

لابد من التقاضي، ولابد من العراك.

فإن سمحت لهم بحيز مما عندك

فسرعان ما يحصلون على أربعة أضعاف ما سمحت لهم به.

العقاب والجعران[1]

يحكى أن عقابًا كانت تطارد أرنبًا

فاتجه الأرنب فى الحال هاربًا إلى جحره فى سرعة فائقة.

فصادف فى طريقه جحر الجعران:

"لست أعلم إن كان هذا الجحر آمنًا

ولكن هل من أفضل؟"

فاختبأ فيه الأرنب.

ولكن مع ذلك اقتحمت عليه العقاب مأواه.

فتدخل الجعران قائلاً:

"يا أميرة الطيور، باستطاعتك رغمًا عنى

أن تنالى من هذا المسكين بسهولة،

---

(١) نوع من الخنافس كبيرة الحجم. (المراجع)

ولكنى أرجوكِ أن تعفينى من هـذه الوصمـة؛

وطالما أن الأرنب يرجوك أن تهبيه الحياة

فامنحيها له أو لتنتزعيها منا نحن الاثنين

فهـو جـارى ورفيقى."

ولكــن ملكة الطيور

لم تأبـه بتوسـلات الجعــران؛

فضربته بطـرف جنـاحها،

فأطـاحت به وأسكتته،

واختطفت الأرنـب.

فطـار الجعران حانقًا وساخطـًا إلى عشها،

وحطـم فى غيـابها كل بيضها

الذى لم يزل رقيقًا، وكان أملها الحالم الحانى

لم يُبقِ على واحدة منه.

عندما عادت العقاب إلى عشها ورأت ما حدث

مـلأت السماء بصياحها

ولم تعرف ممن تشفى غليلها

ولا على من تصب جام غضبها

للخسارة التى ألمت بها.

راحت أنّاتها هبـاء؛

وذهبت شكواها أدراج الريـاح

فقد كُتب عليها العيش تلك السنة كأم ثكلى

وفى العام التالى؛ سوف تضع عشها فى مكان أعلى.

وقد تحققت للجعران بُغيته؛

بإغارته على البيض.

وهكذا تم الانتقام لوفاة الأرنب

أما الحادثة الثانية فتجاوب صداها فى الغابة حتى أنها لم تنم بسببها ما يربو على الستة أشهر.

الأســـد والذبابة الصغيــرة

"هيا اغربى عن وجهى، أيتها الحشرة الحقيرة!"

قال الأسد هذه العبارة

ذات يوم لذبابة صغيرة.

أما هى فأعلنت عليه الحرب؛

قائلة له:

"أتظن أنى أخاف لقبك أو أهتم به؟

فالثور أقوى منك وأنا أتحكم فيه كيفما أشاء."

وما كادت تنتهى من كلماتها؛

حتى بدأت فى مناورة الأسد

فدقت ناقوس الحرب واستبسلت فى الهجوم.

فبدأت تحـوم حـولــه

وحين واتتها الفرصة هجمت على رقبة الأسد فأصابته بالجنون.

فهاج وأزبد وتطاير الشرر من عينيه.

وزأر الأسد فاختفى وارتعد كل من فى الجوار.

وما كان كل هذا الذعر الذى انتشر إلا من صنع ذبابة صغيرة.

استطاعت هذه الحشرة المهيضة الجناح [١]

أن تشبعه لثغًا فى جسده

تارة فى ظهره وتارة فى منخاره.[٢]

وتارة ثالثة تتسلل إلى داخل أنفه.

تفاقم[٣] الموقف وبلغ الغضب بالأسد أوجه[٤]،

وانتصرت الحشرة الصغيرة وأصابها الضحك وهى ترى

أنه لم يبق فى الأسد المسكين مخالب ولا أنياب إلا ومزق بها جسده وأدماه

فأخذ يضرب بذيله الهواء ويلفه حول وسطه دون جدوى. فتمكن منه التعب والإنهاك حتى خارت قواه

أما الحشرة فخرجت من المعركة منتصرة

---

(١) الضعيفة غاية فى الضعف.

(٢) أنف الحيوان.

(٣) ازداد الموقف سوءاً.

(٤) قمته وذروته.

وكما دقت ناقوس الحرب دقت طبول النصر.

فذهبت إلى كل مكان تذيع نبأ انتصارها،

وفى طريقها مزهوة بانتصارها

وقعت فى شباك عنكبوت

كانت تعترض طريقها

وهناك لقيت حتفها.

فما هى الحكمة التى يمكن أن نتعلمها؟

أرى منها اثنتين:

فأما الأولى: من يجب أن نخشاهم بين أعدائنا هم الأصغر حجماً.

أما الثانية: فاحذر المهالك ولا تستهن بالصغائر،

فرب صغيرة تؤدى بك إلى الهلاك.

الحمــار المحمَّل بالملح

والحمار المحمَّل بالإسفنج

يحكى أن حمَّاراً لديه حماران كان يسوقهما شاهراً عصاه، كأنها صولجان لإمبراطور رومانى.

وكان أحدهما محملاً بالإسفنج؛

يمشى مستقيماً كساعى بريد؛

والآخر بالكاد يستطيع السير، يتلمس خطواته

وكأنه يحمل قوارير؛

وكان محملاً بالملح؛

استمر الثلاثة يحثون السير

فى الطرق والجبال والوديان

حتى وصلوا أخيراً إلى حافة نهر

وقد أنهكهم السير، وأضناهم التعب.

فامتطى الحمَّار الذى اعتاد عبور هذا النهر يومياً،

الحمار الذى يحمل الإسفنج،

وساق أمامه حمار الملح.

ولكن ذاك جنح ووقع فى حفرة وانطرح فى الماء، ثم قام وهرب، إذ بعد أن حاول السباحة لإنقاذ نفسه

ذاب ما يحمله من ملح فى الماء

وخف الحِمل عن كاهله، وأصبح حراً.

فأراد زميله حامل الإسفنج أن يحذو حذوه،

كما يسير الخروف مقتدياً بمن يسبقه.

وإذ بالحمار يغوص فى الماء حتى رقبته،

هو وراكبه والإسفنج

ابتلع ثلاثتهم كثيراً من الماء

ولكن الإسفنج كان أكثرهم.

فقد زاد وزنه وامتص الماء سريعاً

حتى أوشك الحمار على الهلاك ولم يستطع الوصول للشاطئ، والحمَّار متشبث به ينتظر موتًا محققًا ووشيكًا. إلى أن جاء من أنقذهم.

ولكن ما يهمنا هنا أنه

لا ينبغى البتة أن يتصرف كل فرد بذات الأسلوب

الذى يتصرف به غيره.

الأســـد والفأر

ينبغى – بقدر الإمكان – أن يعى الجميع
أن الإنسان يحتاج دائمًا إلى من هو أصغر منه.
وهناك حكايتان تؤكدان هذه الحقيقة، حيث تكثر البراهين عليها.

يحكى أن فأرًا كان خارجًا من جحره لا يلوى على شىء
فوقـع فى براثـن الأســد
ولكن الأسد تصرف كملك للحيوانات ووهبـه حياتـه.
ولكن هذا الصنيع لم يضع هبـاء.
من كان يصدق أن الأسد يحتاج إلى فأر؟
غير أنه حدث. فعند خروج الأسد من الغابة
وقع فى شبـاك الصيــادين،
ولم يفلح زئيـره فى تخليصه من تلك الشبـاك.

فأسرع السيد القار، وحاول بأسنانه طويلاً

حتى قرض إحدى عُرَى الشبكة، فانفلتت كلها.

فالصبر مع توافر الوقت

يصنعان ما لم تصنعه القوة والهيجان.

النملة واليمامة

على شاطئ جدول مياه فضفاض

حطت يمامة لترتوى،

فرأت نملة تشرف على الغرق

وتحاول فى ذلك المحيط الوصول دون جدوى إلى الشاطئ،

وفى الحال جنحت اليمامة إلى الرحمة؛

فأتت بعود من العشب ومدته لها

فكان بمثابة قنطرة تشبثت بها النملة

فوصلت بذلك إلى شاطئ الأمان ونجت.

واتفق أن مر قروى حافى القدمين

وكان يحمل معه نبلة

وعندما لمح الطائر الجميل

تخيله مطبوخًا وحلم بصنع الوليمة حوله

وحين استعد لاصطياده؛

لثغته[1] النملة فى كعبه

فانتفض وأدار رأسه، فتنبهت اليمامة وأسلمت جناحيها للريح،

وطارت اليمامة، وطار معها عشاؤه الشهى،

فلن يكون لديه حمامة.

---

(١) قرصته.

الأرنب والضفادع

كان الأرنب فى جحره يفكر

سابحًا فى همومه العميقة

كان حزينًا يتملكه الخوف

فيقول فى نفسه: "تعساء هؤلاء الناس

الذين يفطرون على الخوف

ولا يهنؤون بكسرة خبز

ولايتمتعون ببهجة خالصة

فهناك دائمًا ما يتهددهم، وهكذا أعيش يتهددنى الخوف اللعين

يحول بينى وبين النوم إن لم أكن مفتوح العينين.

ولكن قد يقول أحد الحكماء: تخلص من خوفك

ولكن هل يمكن التخلص من الخوف؟

أعتقد بصدق أن الناس يخافون مثلى."

هكذا كان يفكر الأرنب وهو يقوم بنوبة المراقبة
كان قلقًا، متشككًا: فمجرد نسمة هواء، أو أى ظل
أو حتى شيء لايذكر، كان يبث الرعب فى قلب ذلك الحيوان التعس،
وبينما هو غارق فى مخاوفه سمع حركة خفيفة:
كانت بمثابة نذير للهرب من جحره
مبتعدًا عنه، ماضيًا إلى حافة مستنقع.
وفى الحال أخذت الضفادع تتقافز إلى الماء
وأخذت فى الاختباء بجحورها العميقة،
عندما رأى ذلك قال:
"آه، لقد سببت لها من الخوف ما يسببه الآخرون لى!
فقد تسبب ظهورى فى إرعاب الناس!
فقد أقضت مضاجعهم جميعًا!
فمن أين واتتنى هذه الشجاعة وهذا الإقدام؟
كيف ذلك؟ حيوانات ترتعد فرائصها أمامى؟
إذًا فأنا بطل من أبطال الحرب!
آه! الحق أنه لا يوجد رعديد على وجه الأرض
إلا ووجد من يفوقه جبنًا."

الديــك والثــعلب

يحكى أن ديكًا متقدمًا فى السن، يقظًا وحصيفًا

كان يقوم بالحراسة على فرع شجرة.

فجاءه ثعلب قائلاً وهو يلطف من صوته:

"لسنا فى معركة معًا... بل ليكن بيننا سلام هذه المرة

لقد جئت لأنبئك بهذا، فانزل حتى أعانقك

ولاتعطلنى أرجوك

فعلىَّ القيام بعشرين مأمورية دون هوادة

يمكنك أنت وذويك التوجه لأعمالكم دون أدنى خوف

فسوف نكون لكم نعم الإخوان.

أقيموا الاحتفالات بهذه الصداقة الجديدة بدءًا هذا المساء،

وحتى ذلك الحين.. تعال لأقبلك قبلة المحبة الأخوية."

فأجاب الديك: "يا صديقى

لم أتوقع أبدًا أن أسمع أفضل من نبأ هذا السـلام

وإنها لفرحة مزدوجة لى أن تكون أنت من تنبئنى به

إنى لأرى كلبَى صيد، أعتقـد أنهما قادمان خصيصًا لإخبارى بهـذا الشأن؛

فهما يسيران بسرعة وفى لحظة سيصلان إلينا.

فلأنزل أنا ولنتبادل جميعنا القُبَلات."

فقال الثعلب: "وداعًا فإن مشوارى طويل

وسوف نستمتع بنجاح مشروعنا مرة أخرى."

وفى الحال أطلق الماكر ساقيه للريح؛

وفر هـاربًا وهو مستـاء من خطتـه.

أما الديك العجوز فقد أخذ يضحك فى نفسـه من خوف الثعلب

فهناك سعادة مزدوجـة بأن تخـدع المخـادع.

حين أراد الغراب محاكاة النسر

يحكى أن نسرًا اختطف خروفًا

وكان الغراب شاهدًا على تلك الواقعة،

وإن كان أضعف منه كثيرًا إلا أنه لم يكن يقل شراهة عنه؛

فسوّلت له نفسه أن يقلده فى الحال.

حام الغراب حول القطيع

ومن بين مائة خروف، وقع بصره على أسمنهم وأجملهم،

كان خروفًا بلا عيب، يصلح أن يقدَّم كأضحية.

قال الغراب الهمام لنفسه وهو يتفحصه بعينيه:

"لا أعلم من أرضعتك ولكنك تبدو فى أبهى هيئة

وسوف تفيدنى فى غذائى."

وبعد هذه الكلمات انقضّ على الخروف.

ولكن هذا الضأن كان أثقل وزنًا من قطعة الجبن

بخلاف أن فروته كانت شديدة السمك ومشعثة

مثل لحية بطل أسطورة بوليفيم[١] تقريباً،

فانغرست فيها مخالب الغراب

ولم يستطع فكاكًا من الخروف،

فجاء الراعى وأمسكه، وأودعه فى قفص

وأهداه إلى أبنائه حتى يلهون به.

على المرء معرفة قدر نفسه، والعاقبة واضحة

فبئس الأمر لو حاول الصعاليك محاكاة عتاة اللصوص

وقد كان لنا فى تلك الخدعة المريرة مثال

فليس من يؤذون البشر هم علية القوم

وحيث يمر الدبور تعلق الذبابة.

---

(١) قصة أسطورية لوحش أدمى يسمى السيكلوب أو الأعور وكان راعيًا يملك قطعانًا من الخراف. (من الأساطير اليونانية)

· الطاووس يشكو حاله إلى الآلهة

ذهب الطاووس ذات يوم يشكو همه إلى "جينون"[١]

فقال لها: "أيتها الإلهة جينون،

أنا لا أشكو دون سبب ولا أتذمر دون داعٍ،

فما وهبتيني من صوت لا يروق للطبيعة قاطبة،

بينما البلبل ذلك المخلوق الهزيل

يصدح بألحان حلوة ورنانة،

حتى صار رمزاً منفرداً لبهاء الربيع وجماله."

فأجابته جينون غاضبة:

"أيها الطائر الغيور، ينبغي أن تكف عن الشكوى،

هل أنت من تغار من شدو البلبل،

---

(١) جينون، فى الأساطير الرومانية واليونانية زوجة "جوبيتر" وبنت "زحل" إلهة الزواج، ومن المعروف أن نصيبها من الطيور كان الطاووس فهو طائرها المفضل.

وأنت مَن تزين عنقك ألوان الطيف بدرجاته الحريرية؛

مَن يزهو مختالاً مثلك، مَن يمتلك ذيلاً غنيًا بالألوان مثلك

يبدو إذ ينشره كأنه معرض لشتى أنواع الأحجار الكريمة بألوانها

أيوجد تحت الشمس طير أقدر منك على اجتذاب الإعجاب؟

ما من مخلوق يتمتع بجميع المزايا والصفات

فلقد وهبناكم مزايا متنوعة:

فقد قُسم للبعض صفتا القوة والشجاعة؛

فالصقر خفيف الحركة والنسر ممتلئ بالشجاعة؛

والغراب نذير شؤم، وطائر الزاغ[1] نذير بما يأتي من مآسٍ

وجميعهم قانعون بأصواتهم.

فكف عن شكواك وإلا نزعت عنك ريشك عقابًا لك."

---

(١) نوع من الغربان السوداء الحالكة.

الطحان وابنه وحمارهما

قرأت فى مكان ما أن طحانًا متقدمًا فى السن وابنه الصغير،
ذا الخمسة عشر ربيعًا، على حد ما أذكر
ذهبا بحمارهما إلى السوق ليبيعاه.
وحتى يصلا به إلى السوق وهو فى أحسن حال،
قيدا أقدامه، و حملاه معلقًا وكأنه ثريا[1]
يالهما من مساكين، جهلة وحمقى وبُلَهاء!
أول من رآهم من المارة؛ انفجر ضاحكًا:
" أية مهزلة يلعبها هذان؟
أيهم يا ترى هو الحمار الحقيقى؟."
اعترف الطحان بجهله حين سمع تلك الكلمات؛
فـأنـزل الحمـار أرضًا وفك وثاقه؛

---

(١) نجفة. (المراجع)

أما الحمار الذى كان مستمتعًا بالراحة فلم يعجبه ذلك

وتأسف شاكيًا بطريقته.

فلم يعره الطحان اهتمامًا،

وأركب ابنه وتبعه،

وبالمصادفة، مر ثلاثة من التجار

فساءهم هذا المشهد،

فصاح أكبرهم سنًا بأعلى صوته مخاطبًا الشاب:

"أنت يا هذا! أتركب أنت أيها الشاب الصغير،

وتترك الكهل ذا اللحية البيضاء يتبعك سيرًا على الأقدام!

ليركب الرجل المسن ولتنزل أنت."

أجاب الطحان: "أيها السادة سنعمل على إرضائكم."

فنزل الشاب وركب المسن،

مرت ثلاث فتيات؛ فقالت إحداهن:

"ياللخجل! انظرن إلى هذا الشاب يترنح تعبًا،

بينما هذا الخرف الأبله يمتطى ظهر الحمار

منتفخًا كأنه قائد منتصر

معتقداً أنه فى غاية الحكمة."

فأجاب الطحان: "ليست هناك راحة لمن هو فى مثل سنى،

امضى فى طريقك أيتها الفتاة و صدقينى."

وبعد أن أصابهم من السخرية ما أصابهم طول الطريق،

ظن الطحان أنه مخطئ فأركب ابنه خلفه،

وما كاد يبتعد قليلاً، حتى قابلتهم مجموعة ثالثة ووجدت ما تعلق عليه،

فقال أحدهم: "هؤلاء الناس مجانين؛

فالحيوان المسكين سينفق[1] تحت ثقلهم

ما هذا! هل تتحمل هذه الأتان[2] المسكينة ذلك؟!

هل انعدمت الرحمة من قلوبهم

حتى لا يرحموا الدابة التى طالما خدمتهم!

حتماً ستموت قبل وصولهم للسوق،

ولن يجدوا ما يبيعوه سوى جلدها!"

فقال الطحان: "تبًا لهؤلاء الناس،

---

(١) يموت.

(٢) أنثى الحمار.

مجنون من يزعم أنه يستطيع إرضاء الناس جميعًا.

ومع ذلك فلنحاول عسى أن نجد طريقة تنهى حيرتنا

فنزلا هما الاثنان من فوق الحمار،

فسار ذلك أمامهما وقد تخفف من حمله

فقابلهم أحد المارة وقال:

"أيعقل أن يسير الحمار مرتاحًا

بينما يرهق الطحان بالسير على قدميه؟!

من خُلق للتعب: الحمار أم صاحبه؟

أنصح هؤلاء بأن يجعلوا منه حلية؛

أيستهلكون أحذيتهم ويوفرون الحمار.

إنهم حقًا -كما يقول المثل- لثلاثة حمير!

فأجاب الطحان: أعترف بأننى غبى حقًا

ولكن من الآن فصاعـدًا

سواء وبخنى الناس أو مدحونى

وسواء قالوا شيئًا أو لم يقولوا

فلن أفعل إلا ما يمليه علىّ عقلى."

وقد فعلها وبجـدارة.

المعـــــدة والأعضـــــاء

كلفتنى الملكية بالعمل.

والملكية تذكرنى بصورة المعدة بالنسبة للجسم.

فإن احتاجت لشىء، شعر بها سائر الجسم.

فبعد أن ملَّت الأعضاء من خدمة المعدة،

قرر كل منها أن يعيش دون عمل، محاكيًا المعدة.

كانت الأعضاء تقول: "بدوننا لعاشت المعدة خاوية.

فنحن نعرق ونكد مثل دواب النقل،

ومن أجل من؟ من أجل المعدة وحدها، فنحن لانفيد منها شيئًا

وجل اهتمامنا هو توفير الوجبات لها؛

فلنوقف نشاطنا، فتلك حرفة علينا تعلمها."

وقد كان للأعضاء ما اتفقت عليه.

فتوقفت الأيدى عن التناول، والذراعان عن الحركة،

والساقان عن المشى.

وقال الجميع للمعدة أن تبحث لنفسها عما يكفل لها العيش.

وكان هذا خطأً فادحًا ندموا عليه.

فسريعًا ما أصابهم الهزال

فلم يعد القلب ينتج دمًا جديدًا،

وقد عانى كل عضو من جراء ذلك، وخارت قواه،

وبهذه الطريقة أدرك المتمردون

أن ما كانوا يعتقدونه كسولاً وأرعن،

كان إسهامه من أجل الصالح العام أكثر فعالية منهم.

وهذا المثل ينطبق على الفخامة الملكية

فهى تعطى كما تأخذ بشكل متوازن

فالجميع يعملون من أجلها كما يستمدون منها البقاء

فالملكية هى التى تعول العامل مؤدية له أتعابه

وهى تؤهل التاجر للثراء، وتدفع رواتب المستشارين وتقيم أود الحارس، وتدفع رواتب الجنود وتوزع الهبات الملكية على عدة أماكن

وتعول الدولة بالكامل بمفردها.

حين أصبح الذئب راعيًا للغنم

يحكى أن ذئبًا احتال

ليحصل على جزء من غنم جاره.

ففكر أن يمكر مثل الثعلب

وينتحل شخصية أخرى.

فارتدى زى راعى الغنم،

ووضع على ظهره سترته

واتكأ على عصاه

ولم ينس مزمار القرية

ليتقن اللعبة والحيلة وكتب على طاقيته

"أنا راعى هذا القطيع"

وتقدم الراعى المزيف ببطء

متكئًا على عصاه

أما الراعى الحقيقى فكان فى ذلك الوقت

ممدداً على الأرض العشب النضر

يغط فى سباتٍ عميق

وكذلك كان كلبه ومزماره، وحتى غنمه.

حاول الراعى المزيف أن يجذب الأغنام

فتصور أن عليه محاكاة صوت الراعى الحقيقى

ولكن ذلك أفسد خطته

فما استطاع أن يقلد صوت الراعى الحقيقى

فقد جاء صوته أجشَ منكراً

فأيقظ كل من فى الغابة،

الراعى، والكلب، والأغنام.

فافتضح أمر الذئب المسكين

وأضحى سجين الرداء، عاجزاً

عن الهرب أو الدفاع عن نفسه.

هكذا فالمخادع دائماً ما يترك نقطة ضعف

فمن المؤكد أن من كان ذئباً يتصرف كذئب

الثعلب والتيس[1]

يحكى أن ثعلبًا شديد الدهاء

رافق تيسًا أقرن[2] لا يداني[3] صديقنا في الذكاء.

أرغمهما العطش يومًا على النزول إلى البئر

ليشفيا غلتهما[4] من مائه.

وبعد أن أخذ كل منهما كفايته

قال الثعلب للتيس:

"ماذا سنفعل.. يا صديقي الآن؟!

لقد شربنا وارتوينا

ولكن يجب الخروج من هنا،

ارفع قوائمك الأمامية لأعلى و كذلك قرونك

---

(١) ذكر الماعز.

(٢) ذو قرون طويلة.

(٣) لا يساوي.

(٤) يروي ظمأهم.

ضعها على الجدار بطول ظهرك

سأتسلق أنا أولاً،

ثم ارفعنى على قرونك،

وبمساعدة هذه القرون

سأخرج من هذا المكان،

وبعد ذلك سأسحبك."

قال الآخر: "أحلف بذقنى، إنها لفكرة حسنة وأمتدح الموهوبين مثلك.

أما أنا، فما كان بوسعى التوصل لمثل هذه الفكرة،

أعترف بذلك."

خرج الثعلب من البئر تاركًا رفيقه،

ثم أخذ يعظه موعظة مطولة لحثه على الصبر.

قال له الثعلب: "لو أن السماء وهبتك عقلاً أكبرمن ذقنك

ما كنت لتنزل إلى هذه البئر بلا تروٍ.

أما الآن فوداعـًا، فأنا خارج البئر

وحاول أنت تخليص نفسك

لأن لدىّ مأمورية هامة

لا تسمح لى بالتوقف فى الطريق."

فى أى قرار نتخذه، العبرة فيه بالنهاية.

العُقاب والخنزيرة البرية والقطة

يحكى أن عقابًا كانت تعيش مع صغارها فى عش

أعلى شجرة مجوفة،

وتحت الشجرة كانت تعيش خنزيرة برية

أما القطة فكانت بينهما تتنقل على جذع الشجرة.

وكانت المجموعة من أمهات وصغار

تتعايش فيما بينها دون مشاحنات.

ولكن القطة بخبثها نقضت[1] ذلك الاتفاق الضمنى؛

فتسلقت حتى وصلت إلى العُقاب وقالت لها:

"إن موتنا لَوشيك، أو لنقل موت صغارنا، فبالنسبة للأم الأمر سيان.

أترين هذه الخنزيرة اللعينة التى تحفر دون توقف نفقًا أسفل الشجرة؟

---

(١) خلفت، خرقت.

ذلك بكل تأكيد لتنتزع الشجرة،

وتسبب هلاك صغارنا

وبسقوط الشجرة، ستفتك بهم

كونى على يقين من ذلك،

فلن تبقى على واحد منها ليخفف من حزنى."

ونزلت تلك الوغدة من هذا المكان، الذى ملأته رعبًا،

مباشرة إلى حيث ترقد الخنزيرة فى حالة وضع[1].

فهمست لها القطة قائلة:

"يا صديقتى وجارتى الحبيبة، سأبدى لكِ رأيى

إذا خرجت من هنا فسوف تنقض[2] العُقاب على صغارك؛

فتكرمى بألا تقولى شيئًا عن هذا الموضوع

وإلا فإنها سوف تصب علىّ جام غضبها."

وبعد أن نشرت الرعب فى قلب هذه الأسرة أيضًا

لازمت القطة جحرها.

---

(١) ولادة.

(٢) يهجم على.

أما العُقاب فلم تجرؤ على الخروج،

ولا تلبية احتياجات صغارها .

وكذلك الخنزيرة فقد كانت أشد خوفًا .

هاتان الغبيتان لم تأخذا فى حسابهما أن أهم ما ينبغى تلافيه هو الجوع.

فقد تشبثت كل منهما بالبقاء فى عشها

لإنقاذ صغارها فى حال وقوع مكروه:

العقاب، فى حالة حفر الخندق

والخنزيرة فى حالة انتظار هجوم يهبط عليها من فوق

حتى قضى الجوع على كلتا الأسرتين ولم يتبق أحد منهما،

سواء من فصيلة الخنازير أو من فصيلة العقاب، لم يلق حتفه

مما يدعو للفخر بين الفصيلة القطية.

إن أقبح ما يحاك من دسائس مؤذية

يحدث بفعل اللسان الخائن فلا يستعصى عليه أمر،

فمن أبشع الرذائل التى مُنىَ بها العالم

فى رأيى هى الحيلة والكيد.

الثعلب والعنب

يحكى أن ثعلبًا مجهول الهوية[1]

كان يتضور جوعًا، فرأى فوق عريشة عناقيد من العنب،

يبدو عليها النضج،

وقد اكتسبت قشرتها الخارجية لونًا قرمزيًا.

هذا الثعلب الظريف،

عن طيب خاطر تعشم أن يجعل منها وجبة؛

ولكنه لما لم يستطع الوصول إلى العنب قال:

"إن هذا العنب ما زال أخضر لم ينضج بعد،

ولا يصلح غذاء إلا لحثالة القوم."

أليس هكذا أفضل من الشكوى؟!

---

(١) الجنسية.

العِرسة التى دخلت إلى المخزن

دخلت الآنسة عرسة، ذات الجسد الطويل المرن.

من فتحة صغيرة بأحد المخازن

فقد كانت هزيلة بعد المرض.

وعاشت به دون ضجة،

فأخذت تأكل وتقرض كل ما قابلها

ويعلم الله كم أتت على مؤونات ودهون فى تلك الفترة.

والنتيجة لقد زاد وزنها، وانتفخت أوداجها .

وفى نهاية الأسبوع بعد أن أكلت حتى الثمالة،

تناهى[1] إلى أذنيها وقع أقدام،

فحاولت الخروج من الفتحة التى سبق ودخلت منها

---

(١) سمعت.

لكنها لم تستطع، فظنت أنها أخطأت المكان.

وبعد أن قامت بعدة دورات،

قالت: "ياللدهشة، أليس هذا هو نفس المكان!

لقد مررت من هنا منذ خمسة أو ستة أيام!"

وكان هناك فأر، فلما رأى محنتها قال:

"لقد كان قوامك أقل امتلاءً حينذاك

لقد دخلتِ إلى هنا نحيفة

ولابد من النحافة حتى تخرجى من الفتحة.

وما أقوله لك قد قيل لغيرك من قبل

ولكن علينا ألا نخلط بين شئونهم وشئونك.

القط والفأر العجوز

يقول المؤلف:

قرأت عن أحد الرواة

أن قطًا يُسمى "روديلار" كان كبيرًا لجميع القطط

وكان سفاحًا للفئران، يقض مضاجعهم

فأضحوا تعسين.

وقد قرأت لأحد المؤلفين، كما أقول

أن هذا القط المتوحش والمفترس،

كان مرهوبًا فى كل الدائرة المحيطة.

فقد كان يريد أن يُبيد الفئران من العالم.

فالألواح المستندة على حوامل هشة

وسم الفئران و مصايد الفئران،

كل هذه لم تكن سوى ألعاب مقارنةً به.

ولما رأى أن الفئران لزمت جحورها،

وأنها لا تجرؤ على الخروج،

وبعد أن أعياه البحث،

تظاهر الماكر بالموت، و دلى رأسه من أعلى لوح خشبى

إلى أسفل. وربط هذا الوغد أحد أرجله فى حبل.

فاعتقدت الفئران أن ذلك عقاب وقع عليه

لما اقترفه من سرقة قطعة جبن أو شواء

أو من خدش لأحد، أو بسبب إحداث خسائر أخرى.

وأخيراً، بعد شنق الفتى السيئ المشاغب

تعاهدت الفئران بالإجماع على الضحك أثناء جنازته،

وبدأت تلتقط أنفساها، وتطل برؤوسها قليلاً

ثم تعود فتدخل إلى جحورها،

ثم تخرج لأربع خطـــوات،

ثم أخيراً تبدأ فى البحث عن غذائها.

ولكن كان هناك احتفال من نوع آخر:

فقد بُعث المشنوق حيًا من جديد، ووثب على قدميه

وأمسك بأكثر الفئران كسلاً فى الهروب.

قال وهو يلتهمهم: "لدىّ أكثر من خطة، وهى حيلة قديمة مستخدمة فى الحرب ولن تنقذكم مني جحوركم النخرة،

وإنى أنذركم جميعًا بأنكم سوف تؤولون إلىّ."

لقد صدق قوله، فقد خدعهم _أستاذنا الجميل القط_

للمرة الثانية بذكاء، فقد بيّض فراءه وتغشى بـالدقيـق،

و تنكر بالاختباء والتمرغ فى جوال دقيق مفتوح

وكانت تلك حيلة صائبة.

فاقتربت الفئـران من حتفها.

فأر واحد فقط امتنع عن الذهاب ليحوم حول الجوال.

فقد كان فأرًا عجوزًا حصيفًا ذا خبرة

بل أنه فقد ذيله فى معركة سابقة.

"تلك الكتلة المغطاة بالدقيق ليس بها شىء ذو قيمة"

قال ذلك وهو يصيح من بعيد إلى السيد القط

"بل أنى أشك أن تحتها شيئًا ما مؤذيًا،

لن يفيدك أن تكون دقيقًا ولو كنت حتى جوالاً، فلن أقترب منك."

كان ذلك منتهى العقل من جهته بل أنى أقدر حذره

لقد كان محنكًا

ويعرف أن الشك هو مصدر الأمان.

غراب المزارع يتزين بريش الطاووس

يحكى أن طاووساً كان يجدد ريشه،

فاخذ غراب المزارع ما فضل عنه من ريش.

ثم استخدمه ليتزين به، ثم سار يتهادى به فى خيلاء

بين مجموعة من الطواويس مزهواً بنفسه

معتقداً أنه أصبح طائراً جميلاً.

لكن أحد الطواويس كشف أمره؛

فنال ما ناله من هزء و سخرية وتقريع.

ونتفت الطواويس ريشه حتى أنه حين لجأ لذويه،

طردوه شر طردة.

هناك العديد من غربان المزارع مثله

ممن يتزينون ببقايا الآخرين

وهم من نطلق عليهم المنتحلون[١].

سألتزم الصمت عنهم، فلست أريد أن أسبب لهم أى إحراج

فليس هذا من شأنى.

(١) يقلد شخص آخر.

الضفدع والفأر

كان فى قديم الزمان شاعر اسمه "ميرلان"[1]

قال: "من حفر حفرة لأخيه وقع فيها."

للأسف أصبحت هذه العبارة قديمة فى أيامنا هذه

لكنها دائمًا تبدو لى ذات فاعلية قصوى.

ولأثبت ذلك، اسمعوا هذه القصة:

كان هناك فأر سمين ممتلئ الجسم

لم يكن يعرف صومًا ولا تقشفًا.

وكان يومًا يستجم على شاطئ مستنقع

فاقتربت منه ضفدعة وقالت له:

"تفضل بزيارتى، فسأعد لك وليمة."

وافق السيد الفأر على الفور

---

(١) مغنى قديم شهير.

فلم يكن فى حاجة إلى لجاجة

ولكنها أخذت تعدد له متعة الاستحمام

والفضول ومتعة السفر

ومئات النوادر التى يمكن رؤيتها بطول المستنقع.

قالت له إنه ذات يوم قد يقص الفأر على أحفاده

جمال هذه الأماكن، وعادات سكانها،

وكل ما يتعلق بتلك الجمهورية المائية.

نقطة واحدة أعاقت ذلك الماكر

فقد كان يسبح قليلاً ولكنه كان يحتاج لمساعدة،

وقد وجدت الضفدعة حلاً لتلك المسألة

فقد ربطت رجلها إلى رجل الفأر بأحد الأغصان الرفيعة.

وحين دخلا إلى عمق المستنقع

حاولت الضفدعة جاهدة أن تسحب ضيفها إلى أعماق الماء،

ضاربة عرض الحائط بوعودها وبالعرف المعمول به

حنثت بالعهد والوعد

مدعية أنها ستولمه[1] ملء جوفه

---

(١) تعد له وليمة ويأكل حتى يشبع.

فقد كان فى رأيها يصلح طعامًا دسمًا

وكانت تلك الماكرة تمنى نفسها بالتهامه

فبدأ الفأر يُشهد عليها الله

ولكن الماكرة كانت تهزأ به

فأخذ يقاوم، فصارت تجذبه

وأثناء هذا الصراع، إذا بحدأة كانت تحوم فى الجو

فى حلقة دائرية، فرأت المسكين يصارع على وجه الماء،

فانقضت عليه واختطفته،

حاملة معه أيضًا الضفدعة المربوطة إليه،

وهكذا فازت بالصيدين معًا،

وسعد قلب الحدأة بهذه الغنيمة المزدوجة

إذ سيُكتب لها أن تأكل فى عشائها، لحمًا وسمكًا.

فالخدعة مهما حيكت [٢] بعناية

قد تضر بصاحبها.

وغالبًا ما ينقلب الغدر على الغادر.

---

(١) تُدبر.

الذئب والعنزة وصغيرها الجدى

يحكى أن عنزة ذهبت لترعى

ليمتلئ باللبن ضرعها[1]

وعلى صغيرها أقفلت بالمزلاج بابها

وأوصت جِديها الصغير

بأن يتوخى الحذر في غيابها

فقالت له: "حافظ على حياتك ونفذ ما أقوله لك

لا تفتح لأحد مطلقًا دون كلمة السر:

(تبًا للذئب ولعشيرته)"

واتفق أن الذئب كان يمر مصادفة وهى تقول تلك العبارة،

فسمع كلماتها ووعاها[2] فى ذاكرته

---

(١) ثدى المعزة.

(٢) حفظها.

وبالطبع لم تره العنزة .

وعندما رآها الذئب تنصرف

غير صوته وحاول أن يقلدها بصوت حنون:

فقال للصغير: "هيا افتح لى الباب، وكلمة السر (تبًا للذئب)."

وتصور أنه سيدخل على الفور

ولكن الصغير شك فى الأمر،

ونظر من فتحة صغيرة فى الباب،

وقال للذئب: "أرنى قدمك البيضاء أولاً وإلا فلن أفتح لك أبدًا."

(وكما نعلم نادرًا ما تكون للذئب قدم بيضاء)

فوجئ الذئب بهذا الكلام،

فعاد من حيث أتى.

ترى ماذا كان مصير الجدى الآن

لو وثق فى كلمة السر التى سمعها الذئب بمحض الصدفة؟.

فعلينا التذرع بأكثر من ضمان.

فكلما كثرت الضمانات توفر الأمان.

البخيل الذى فقد كنزه

إن الاستخدام فقط هو ما يكرس الملكية.

وإننى لأسأل هؤلاء الذين يهوون دائمًا أن يكنزوا أموالهم

القرش على القرش.

ما الفائدة التى يجنونها والتى قد لا يحصل عليها إنسان آخر.

فلو لم يستفد الثرى من ثرائه،

فالبخيل يعيش إذًا شأنه شأن الصعلوك.

وقصة الرجل صاحب الكنز المخبأ التى يسوقها لنا إيزوب(١)

ستفيد كنموذج للموضوع.

هذا البائس كان ينتظر

حياة أخرى ليتمتع بأمواله.

---

(١) يعد إيزوب من أهم كتاب "الخرافة" بين شعراء الإغريق وقد نقل عنه لافونتين الكثير من الحكايات.

لم يكن يمتلك الذهب، بل الذهب هو الذى امتلكه.

فقد كان له مبلغ من المال مطمور فى الأرض،

وكذلك كان قلبه. فلم تكن له متعة سوى أن يجتره ليلاً ونهاراً،

جاعلاً إياه مقدساً لا يمس.

وكانت تلك هى الفائدة الوحيدة التى ينالها منه

فلا يذهب ولا يجىء ولا يأكل ولا يشرب إلا لماماً.

ولم يكن يشغل فكره إلا الموقع الذى دفن فيه المبلغ.

وظل يحوم حوله حتى رآه أحد الحفارين،

وساوره الشك فى الخبيئة

فاستخرجها دون ضجة

وفى يوم مشئوم؛ اكتشف البخيل الخبيئة خالية.

وهاهو يذرف الدمع، ويئن أنيناً مكتوماً

يتمزق نفسياً ويصرخ.

فسأله أحد المارة عن سبب صراخه هذا؟

- "لقد سرقوا منى كنزى."

- "كنزك؟! من أين أخذوه؟"

- "قريبًا من هنا، ملاصقًا لهذا الحجر."

- "ما هذا! هل نحن في زمن حرب لتخفيه هكذا بعيداً؟

ألم يكن من الأفضل أن تتركه في بيتك، في خزانتك

بدلاً من أن تغير مكانه؟

وكان في استطاعتك أن تأخذ منه بدون مشقة في أي وقت."

- "في أي وقت! يا إلهي! أليس للمال فائدة إلا أن

يأتي ليضيع ببساطة هكذا؟

أنا لم أكن ألمسه أبدًا."

- قال الآخر: "إذاً أخبرني بصراحة لماذا تحزن هكذا بشدة

ما دمت لم تمس هذا المال مطلقًا، ضع مكانه حجرًا،

وسوف يؤدي لك نفس المهمة."

طائر القنبر وصغاره مع صاحب الحقل

هناك مثل قديم يقول: "لا تعتمد إلا على نفسك".

انظروا كيف عبّر عنه إيزوب وبرهن على صحته:

تشيّد القنابر أعشاشها فى حقول القمح قبل أن ينضج

فى الفترة الزمنية التى يتزاوج فيها الكل

ويتكاثر ويفرخ كلٌّ فى بيئته:

الوحوش البحرية فى قاع اليم

والنمور فى الغابات، والقنابر فى الحقول.

واحدة من هذه القنابر

مضى عنها نصف الربيع

ولم تذق طعم الحب ولذته

وأخيراً عزمت على أن تحب و تحاكى الطبيعة،

وتصبح أمًا أيضاً.

فبَنت لنفسها عشًا وباضت واحتضنت بيضها حتى أفرخ،

وكل شيء يسير على ما يرام.

نضج القمح في الجوار،

وبعد، على الطيران لا تقدر الصغار

حتى تترك العش وتنطلق.

وبشتى الوسائل، ظل القنبر يعتني بصغاره

ويذهب ليحضر لهم الطعام

موصيًا إياهم أن يتوخوا منتهى الحذر أثناء غيابه

قائلاً لهم:

"إذا حضر صاحب الحقل مع ابنه

أصغوا جيداً لما يقول، وسنتصرف طبقًا لذلك".

وبمجرد أن ابتعد القنبر عن صغاره

حضر المالك مع ابنه، وقال:

"قد نضج القمح، فاذهب إلى أصدقائنا

وترجّاهم للحضور غداً، كل منهم بمنجله

وليأتوا إلينا لمساعدتنا مع بزوغ الفجر."

ولما عاد صديقنا القنبر

ألفى صغاره مذعورين

قال أحدهم: "قال المالك، عند بزوغ الفجر

سيأتى بأصدقائه غداً ليساعدوه."

قالت الأم: "إن لم يقل غير هذا

فلا شىء يتعجلنا لتغيير مكاننا؛

فالغد إذاً نتسمع جيداً

والآن فلا تبتئسوا وامرحوا

وانظروا ما أحضرت لكم من طعام."

ثم أكلوا جميعاً وشربوا حتى شبعوا و ناموا ملء جفونهم، الأم والأبناء.

بزغ الفجر ولم يحضر الأصدقاء، وحلقت القنبر فى السماء،

وجاء المالك يقوم بجولته المعهودة

قال المالك: "لقد حان موعد حصاد القمح و لقد أخطأ أصدقائى

بعدم الحضور، ومخطئ من يعتمد على كسالى مثل هؤلاء.

اذهب يا بنى إلى أقاربنا واطلب إليهم نفس الأمر."

وخيّم على العش خوف لا مثيل له

قال أحد الصغار لأمه:

"لقد قال أقاربه يا أمي، في هذه الساعة...

فقاطعته الأم قائلة: "لا يا أولادي ناموا في سلام لن نتحرك من مأوانا."

وبالفعل كانت الأم على حق؛ لأن أحدًا لم يحضر.

وللمرة الثالثة، جاء المالك ليزور حقوله

فقال: "خطؤنا فادح إذ اعتمدنا على غيرنا.

تذكر جيدًا يا بني:

لن ينفعك صديق أو قريب

وخير صديق لك هو أنت نفسك.

وهل تعلم ما يجب عمله؟.

لابد من الغد أن يأخذ كل فرد منا منجله

هذا هو الأفضل لنا، ثم ننجز حصادنا بأنفسنا حين نستطيع."

وحالما علمت القنبرة بالأمر، قالت لصغارها:

"الآن يجب علينا الرحيل أيها الصغار."

وتحامل الصغار على أنفسهم وتطايروا وحاولوا ثم حلقوا جميعًا

في هدوء دون ضجة.

الإناء الفخارى والإناء الحديدى

يحكى أن إناءً حديديًا اقترح ذات يوم

على الإناء الفخارى أن يقوما برحلة

فتعلل الإناء الفخارى

بأن الأفضل له البقاء فى الركن بجوار النار

لأنه هش وأقل شىء يمكن أن يتسبب فى تحطيمه.

وقال للإناء الحديدى: "أما أنت ذو الجدار القوى

فليس لديك ما يمنعك."

فأجاب الإناء الحديدى: "سأوفر لك الحماية؛

إن تعرضت لأى خطر يهدد سلامتك

سأحول بينك وبينه، وأنقذك من الارتطام."

أقنع هذا العرض الإناء الفخارى

وسار جنبًا إلى جنب بجوار صديقه الحديدى.

فانطلقا يتمايلان الواحد نحو الآخر كما تفعل الأوانى

وما هى إلا بضع خطوات حتى ارتطما ببعضهما،

وتألم الإناء الفخارى من جرّاء ذلك

فقد سقط على الأرض مهشماً

لا يلوم إلا نفسه.

فدعونا ألا نشارك إلا نظراءنا

وإلا فلننتظر نفس مصير ذلك الإناء.

السمكة الصغيرة والصياد

السمكة الصغيرة ستصبح كبيرة

لو وهبها الله عمرًا مديدًا،

ولكن من الحماقة أن أطلق سراحها

وأنتظر؛ فلا أضمن أن أصيدها مرة أخرى."

يحكى أنه على شاطئ نهر،

وقعت سمكة صغيرة فى شبكة صياد.

كان هذا حديث الصياد إلى نفسه، وأردف قائلاً:

"هاهى فاتحة لوجبة شهية

والعدد الكبير يبدأ بواحدة

فلأضعها فى سلتى."

فقالت له السمكة الصغيرة: "ماذا ستفعل بى؟

إننى صغيرة لا أسمن ولا أغنيك من جوع!

اتركنى فأصبح سمكة كبيرة،

وحينئذ تصيدنى مرة أخرى،

فيدفع لك الأثرياء ثمنًا غاليًا فىّ

بدلاً من أن تبحث لك عن مائة سمكة أخرى فى حجمى

لتعد لك طبقًا واحدًا وأى طبق! صدقنى لا يستحق العناء!."

قال الصياد: "لا شىء يستحق؟!

ليكن. ولكن لا تعظينى فلا جدوى من ذلك

فسوف توضعين فى المقلاة هذا المساء."

شىء فى اليد خير من اثنين فى علم الغيب

فالأول مضمون، وأما الآخر فلا.

المزارع وأولاده

"اعملوا وكدوا واجتهدوا، تلك هي الثروة التي لا تنضب."

شعر مزارع غني بأن ساعته قد حانت

فجمع أبناءه ليوصيهم بوصيته دون شاهد عليهم.

فقال لهم: "حذار أن تبيعوا أرضنا

التي ورثناها عن أجدادنا

ففي باطنها كنز مدفون.

لا أعرف مكانه بالضبط

ولكن بالجد والعمل ستعثرون عليه.

في بداية الموسم، اعزقوا الأرض وقلبوها

وابحثوا و فتشوا في كل مكان فيها

لا تتركوا شبراً إلا وتقلبوه مرة ومرات.

بعد وفاة الأب بدأ الأبناء فى تقليب الحقل

ولم يتركوا جزءاً من الأرض إلا وبحثوا فيه

حتى أنه فى نهاية العام جاءت الأرض بثمار أوفر.

لم يجدوا كنزاً ولا مالاً،

ولكن الأب كان حكيماً، أراد أن يثبت لهم

قبل موته، أن العمل الشاق هو الكنز الحقيقى.

الدجاجة التى تبيض ذهبًا

إن الطمع يتسبب فى فقدان كل ما يكسبه الإنسان.

لا يعوزنى لإثبات ذلك إلا صاحب الدجاجة التى،

-كما تقول الحكاية-

كانت تبيض له كل يوم بيضة ذهب.

فاعتقد أن بداخلها كنز من الذهب.

فذبحها، وفتح بطنها، فوجدها مثل باقى الدجاج

الذى لا يساوى بيضه شيئًا.

بينما هو قد انتزع بيديه أفضل ما كان يمتلك.

وهذا درس مفيد للبخلاء الطماعين!

وكم رأينا منهم فى هذه الأيام الأخيرة،

من يفتقرون بسرعة فائقة

لأنهم ابتغوا الإثراء السريع.

الأيــل والكـرمـة

يحكى أن أيلاً جاء ليحتمى بكرمة عالية

من تلك التى نراها فى بعض المناطق المناخية.

فأخفته الكرمة عن الأنظار ونجا من الموت،

وهنا اعتقد الصيادون أن كلابهم قد فقدت أثره،

حينئذ استدعوها.

وهنا بدأ الأيل فى قضم أوراق "منقذته"

معتقداً أنه بعيد عن الخطر.

كم كان ناكراً للجميل!

فأحس به الصيادون وعادوا إليه وأخرجوه من مكمنه،

فمات فى نفس ذلك المكان،

قائلاً: "أنا استحق هذا العقاب العادل،

فاستفيدوا من تجربتي أيها الغادرون."

وسقط في هذه اللحظة، واجتمع حوله الصيادون وكلابهم تنهشه

ولم تفده دموع المارة حزنًا على ما حل به.

تلك صورة حقيقية لمن يدنسون المأوى

الذي طالما آواهم.

الأرنب ودجاجة البرارى

لايصح مطلقًا السخرية من البؤساء

فمن منا يمكن أن يضمن السعادة أبد الدهر؟

والحكيم إيزوب[١] فى حكاياته يعطينا مثالاً أو مثالين

كذاك الذى أعرضه فى أبياتى الشعرية المشابهة لأبياته.

يحكى أن دجاجة برية وأرنبًا كانا يقطنان

فى أحد الحقول معًا فى هدوء واطمئنان.

وفجأة، اقتربت كوكبة من كلاب الصيد

أجبرت الأرنب على الهرب إلى مأوى يحميه

فلم يجد إلا جحره ليتحصن به

ظنًا منه أنه قد خدع الكلاب.

---

(١) يعد إيزوب من أهم كتاب "الخرافة" بين شعراء الإغريق وقد نقل عنه لافونتين الكثير من الحكايات.

ولكنها شمت الرائحة المنبعثة من دفء جسده

وكشفت مخبأه وظلت تطارده بعنف وإصرار

حتى مات وهو محاصر فى جحره.

فسخرت منه الدجاجة البرية قائلة: " كنت تتباهى بسرعتك الفائقة؟

فماذا فعلت لك سيقانك؟"

وبينما هى تتضاحك، حان دورها فاكتشفتها الكلاب.

تصورت أن جناحيها قادران على إنقاذها عند اشتداد الخطر،

ولكن المسكينة لم تحسب حساب

مخالب الكلاب التى لا ترحم.

النسر والبومة

يحكى أن نسراً وبومة توقفا عن المشاحنات

بعد أن استمرت بينهما طويلاً وتصالحا.

النسر أقسم بملكه، وهى أقسمت قسم البوم

على أنهما لن يفترسا صغار بعضهما البعض مهما

قلوا أو كثروا.

قالت له البومة: "هل تعرف صغارى؟"

قال النسر: "كلا."

قالت البومة: "تبًا، فى هذه الحالة أخشى على حياتهم؛

فمن الصعب المحافظة عليهم.

وبما أنك ملك، فلن تعير أحداً ولاشيئًا اهتمامًا؛

فالملوك كالآلهة لا يفرقون فى المعاملة بين رعاياهم.

فوداعًا لصغارى إذا أنت صادفتهم."

قال النسر: "صفيهم لى، أو الأفضل أرينى إياهم

فلن أمسهم مادمت حيًا."

أجابت البومة: "إن صغارى رقيقة وجميلة، حسنة المُحيا،

وأجمل من مثيلاتها.

بهذا الوصف، سوف تتعرف عليها بسهولة.

لن تنسى هذا الوصف، تذكره جيدًا

حتى لا يجهز الموت اللعين على صغارى بواسطتك."

ويحكى أن الله رزق البومة بصغار

وتصادف فى ليلة مشئومة أن لمح النسر

فى أحد المراعى بمحض الصدفة فى ركن من الأركان

صخرة صلدة، أو فى أحد شقوق الأطلال

(لست أدرى أيهما؟)

صغارًا مخيفة متوحشة دميمة،

تعسة وذات صوت مزعج يبعث الكآبة.

فقال النسر: "لا يمكن أن تكون هذه الصغار لصديقتنا؛ فلنفترسها."

والطائر الماهر لم يتوان فى التهامها،

فلم يكن ممن يكتفون بالقليل فى غذائهم.

عندما عادت البومة لم تجد سوى أرجل صغارها الأعزاء.

يا للأسف ضاع كل شىء.

انتحبت وابتهلت إلى الله أن يعاقب القاتل الذى تسبب فى أحزانها.

وذهبت تشكو وجيعتها للآلهة مطالبة بالانتقام

فأجابتها قائلة: "لا تلومى إلا نفسك، أو على الأرجح الناموس العام

الذى يجعل كلاً يرى أبناء جنسه وكأنهم أفضل الكل حُسنًا

أنتِ من رسمت للنسر صورة صغارك

فهل كان فيها ولو أقل قدر من الصحة؟"

الأسد يستعد لشن الحرب

يحكى أن أسداً كانت تدور فى خلده فكرة.

فعقد مجلس الحرب وبعث بمستشاريه،

ليخطروا جميع الحيوانات.

دخل الجميع فى الخطة كلٌ حسب قدراته:

الفيل يحمل فوق ظهره المعدات اللازمة

ويحارب حسب المألوف.

الدب يستعد للهجمات،

الثعلب عليه أن يقوم بإعداد الدسائس والمكايد،

والقرد يلهى العدو بحركاته.

قال أحدهم: "سرِّحوا الحمير لأنها بطيئة الفهم،

والأرانب؛ فهى شديدة الخوف والهلع."

قال الملك: "إطلاقًا"

فأنا أريد أن أستغلهم؛ فجيشنا بدونهم لن يكون مكتملاً.

فالحمار سيخيف الأعداء، ويكون بالنسبة لنا كالبوق؛

والأرنب يمكن أن يفيدنا كساعي بريد."

فالملك الحصيف الحكيم؛

يعرف كيف يستفيد بإمكانيات أقل رعاياه،

ويعرف مواهبهم المختلفة.

فلا يوجد شيء دون فائدة بالنسبة للعقلاء.

الدب والزميلان

يحكى أن زميلين كانا يحتاجان للمال،

باعا إلى جارهما – تاجر الفراء _ فراء دب لا يزال على قيد الحياة،

ولكن حسب قولهما أنهما سيقتلانه سريعًا،

كان الدب يُعتبر بالنسبة لهم ملك الدببة.

والتاجر يريد أن يربح من وراء ذلك الفراء؛

فذلك الفراء يحمى من زمهرير البرد القارص،

ويمكن أن يبطن رداءين وليس رداءً واحدًا

كان الزميلان يعتبران الدب لهما، ولكن لم يكن هذا رأى الدب نفسه.

فعرضا على التاجر تسليمه الفراء خلال يومين على الأكثر،

ومن ثَمّ اتفقا على الثمن وبدءا البحث

ووجدا الدب الذى تقدم نحوهما مندفعًا.

تسمّرا فى مكانهما، كأن صاعقة قد أصابتهما.

لم تتم الصفقة وكان لابد من إلغائها،

لم يتحدثا مع الدب فى تعويضهما عن فقد الصفقة

ولكن أحدهما اعتلى قمة شجرة،

والثانى تجمد من الخوف وكأنه قطعة من الرخام البارد.

فانطرح أرضاً، وتظاهر بالموت وكتم أنفاسه.

لأنه سمع أن الدب لا يقترب عادة من جسد لا حراك فيه

وفعلاً هذا ما فعله الدب بمنتهى الغباء

فقد رأى الجسد المسجّى وظنه بلا حياة.

وخوفًا من الخداع والحيلة،

ظل يقلبه يُمنة ويسرة ويتشممه

ثم قال: "هذه جثة فلأبتعد عنها فرائحتها نتنت."

وتوجه الدب للغابة المجاورة.

فأما الذى كان على الشجرة،

فنزل إلى الأرض وجرى إلى صاحبه وقال له:

"يا لها من معجزة!! إنك لم تصب بأذى سوى بالخوف فقط."

ثم أضاف قائلاً: "ماذا بعد! وماذا عن الفراء؟

ولكن ماذا أسر لك فى أذنك؟ لأنه اقترب منك جداً حين كان يقلبك بمخالبه."

- كان يقول لى:

"لا يجب أن تبيع جلد الدب ما لم تطرحه أرضاً.."

الحمار الذى ارتدى جلد الأسد

ذات يوم ارتدى الحمار جلد أسد،

ونشر الرعب فى الناحية كلها.

ومع أنه حيوان محرومٌ من الشجاعة؛

إلا أنه بث الرعب فى قلوب الجميع.

ولكن لسوء حظه ظهر جزء من أذنه الطويلة

فانكشفت حيلته وظهرت خديعته

فكان من نصيبه المقرعة.

بُهت من لم يكونوا عالمين بغشه وخديعته

كيف يُضرب أسد بعصا ويساق إلى الطاحونة!.

الثعلب والقرد والحيوانات

يُحكى أن الحيوانات بعد وفاة أحد السباع

والذى كان فى حياته أمير البلد،

اجتمعوا من أجل أن يختاروا ملكًا،

واستخرجوا التاج من علبته المختومة

التى كان يحرسها تنينٌ.

وحدث أن جربّه الجميع، ولكنه لم يلائم أى رأس من رؤوسهم.

فالكثيرون منهم كانت رؤوسهم صغيرة،

وآخرون كانت رؤوسهم ضخمة

وآخرون أيضًا كانت برأسهم قرون لايستقر فوقها التاج.

والقرد أيضًا جرب بدوره التاج وهو يتضاحك مازحًا،

وقام بحركات كثيرة وقفزات تمتاز بالليونة

والعديد من حركات القرود المضحكة،

ومر من قلب التاج وكأنه يمر من طوق

فنال استحسان الحيوانات حتى انتخبته ملكًا

وجاء كل منهم ليقدم له التبجيل.

ولكن الثعلب كان الوحيد الذى لم يرحب بانتخابه،

ولكنه مع ذلك لم يُبدِ اعتراضًا.

وحين ذهب لتقديم التهنئة،

قال للملك: "سيدى، إنى أعرف خبيئة بها كنز

ولا أعتقد أن أحدًا غيرى يعرفها.

وبموجب الحق الملكى كل كنز يئول يا سيدى إلى جلالتك."

سال لعاب الملك الجديد لسيرة المال،

وركض إليه شخصيًا حتى لا يخدعه أحد.

ولم يكن ذلك سوى شرك سقط فيه.

تحدث الثعلب باسم الحاضرين قائلاً:

"ألا تزال تدّعى قدرتك على حكمنا وأنت لا تستطيع أن تحكم فى نفسك؟"

وتمت تنحيته، وأقر الجميع بأن التاج لا يناسب إلا قلة من الناس.

البغل[١] الذى يفاخر بأصله

يحكى أن بغلاً يمتلكه أحد الرهبان كان يدّعى انتماءه إلى طبقة النبلاء
ولم يكن يذكر فى حديثه باستمرار إلا أمه الفرسة
التى كان يحكى عنها الكثير من البطولات.
لقد كانت تفعل هذا وذاك، ثم كانت تذهب إلى هنا وهناك.
ولذا كان ابنها يطالب بأن يدخل التاريخ.
وكان يعتقد أن خدمتها لطبيب قد حطت من قدرها.
ولما تقدم به العمر، أرسلوه إلى الطاحونة[٢]،
حينئذ فقط تذكر والده الذى كان حماراً.
لو لم تكن للمآسى ميزة سوى أن تعيد للأحمق عقله
فستبقى لها مزاياها دائماً كما يقولون[٣]

---

(١) البغل حيوان ركوب وحمل، وهو يأتى نتيجة للتزاوج بين الحمار والفرس.

(٢) يعتبر إرسالها للطاحونة إهانة لها لأن الحمار عادة هو من يقوم بإدارتها.

(٣) عملاً بالمثل الفرنسى الذى يقول إن "المآسى لها مزايا" A quelque chose malheur est bon

حين رأى الأيل صورته فى الماء

فى سالف العصر والأوان،

كان أيلٌ يتأمل صورته المنعكسة

على صفحة ماء نبع رقراق

مادحًا جمال قرونه بإعجاب

وينعى وهن سيقانه النحيلة التى تكاد تختفى صورتها فى الماء.

وكان يقول لنفسه: "ما أشد الفارق بين رأسى وقدمى؟!"

فجبهتى تصل إلى قمم أشجار الغابة

وأما سيقانى فتخزينى

وبينما هو مستغرق فى تأملاته

فإذا بكلب صيد يجبره على الفرار

كان همه أن ينجو بنفسه.

فدخل للتو إلى الغابة

وفى عجلته، كانت قرونه تعيقه باستمرار عن الفرار

يالها من زينة مؤذية، تعرقل خفة حركته التى توفرها له سيقانه

القادرة على إنقاذ حياته.

حينئذ راجع نفسه ويدأ يلعن تلك القرون

التى وهبته السماء إياها سنة تلو الأخرى.

و نحن دائماً نقدر الشيء لجماله و ليس لفائدته

وعادة ما يسبب لنا الجميل الأذى

وهذا الأيل كان ينتقد سيقانه التى تكسبه الخفة والرشاقه،

بينما كان يشيد بقرونه التى أضرت به.

الأرنب والسلحفاة

لن يفيدك الركض السريع، بل عليك بالرحيل فى الموعد المحدد.

و الأرنب والسلحفاة يقدمان المثال على ذلك.

يحكى أن سلحفاة تراهنت مع أرنب على سباق.

فقالت له: "أتراهننى أنك لن تصل للهدف قبلى."

دهش الأرنب وقال لها: "هل تعقلين ما تقولين؟

عليكِ بتناول أربع حبات من الخربق[١]

حتى تتنبهى لما تقولين!"

قالت السلحفاة: "سواء أكنت عاقلة أم لا، فما زلت أراهنك."

وهكذا تم الأمر،

ووضع كل منهما قيمة الرهان عند نهاية المطاف:

---

(١) نوع من الزهور الشقارية تتفتح شتاء.

لا يهمنا ما هو ولا من رضياه حكمًا بينهما.

أما الأرنب فلم يكن يفصله عن الهدف سوى أربع قفزات

أقصد من تلك التى يقفزها

حين يكون على وشك الوقوع فريسة لكلاب الصيد المفترسة،

فيرسلها إلى الجحيم ويقطع أنفاسها لهثًا وراءه فى البرارى.

أقول لكم كان لديه الوقت الكافى ليرعى وينعس وينصت إلى صفير الرياح

تاركًا السلحفاة تسير بتؤدة.

بينما السلحفاة تبذل قصارى جهدها وتحث الخطى

تتعجل حتى فى سيرها البطىء

أما الأرنب فقد كان يحتقر مثل هذا الانتصار

معتقدًا أنه يقلل من شأنه أن يكسب مثل هذا السباق

فكلما تأخر كان أحسن له وأجدر

فأخذ يرعى ويتلكأ هنا وهناك ويتسلى بأشياء بعيدة عن الرهان.

وأخيرًا حين رأى السلحفاة وقد قاربت نهاية السباق

انطلق كالبرق. ولكن قفزاته الهائلة لم تجدِ

لأن السلحفاة وصلت قبله

فقالت له: "أرأيت أنى كنت على حق؟

ففيم أفادتك سرعتك؟

لقد فزت أنا!

وماذا كنت تفعل لو كنت تحمل ما أحمل على ظهرى؟"

القروى والثعبان

يقص علينا إيزوب[١]

أن فلاحًا كريمًا بقدر ما تعوزه الحكمة، بينما كان يتنزه

فى يوم شتوى فى ضيعته،

أبصر ثعبانًا ممددًا على الجليد

مثلجًا، ومتجمدًا، وبلا حراك من شدة البرودة، يكاد يفقد الحياة خلال لحظات.

فأخذه القروى وحمله إلى مسكنه؛

ودون أن يفكر فيما سيكون جزاؤه الذى يستحقه لمثل هذا العمل،

وضعه بجوار المدفأة؛

فسرى الدفء فى جسد الثعبان؛ فاستيقظ ثانية.

---

(١) شاعر يونانى قديم يكتب الحكايات، "لافونتين" يستلهم منه.

لم يكد الحيوان المتجمد يشعر بالدفء،

حتى واتاه الغضب مع الحياة التى عادت إليه

فرفع رأسه قليلاً، ثم فى الحال أطلق فحيحاً[1].

ثم كوَّر جسده وهمَّ بأن يقفز على من صنع معه المعروف وأنقذه، بل قل على أبيه.

فقال له الفلاح: "أيها الناكر للجميل! تلك هى إذاً مكافأتى! لسوف تموت!."

وبهذه الكلمات المفعمة بغضب صائب،

أخذ فأسه وضرب الأفعى فقسمها

بضربتين إلى ثلاثة ثعابين.

الجذع والذيل والرأس.

وأخذت أجزاؤه تتقافز هنا وهناك محاولة أن تتجمع ثانية، ولكن هيهات!

من الخير أن تكون كريماً؛

ولكن مع من؟ تلك هى المسألة.

أما ناكرو الجميل فلا يكون نصيبهم فى النهاية سوى الموت المأسوى.

---

(١) صوت الثعبان.

المحتال

لم يخلُ العالم يوماً من المحتالين:

فدائماً ما كان هذا العلم[1] يجد له أساتذة متوفرين

فتارة يوهمنا أحدهم أنه يواجه الموت[2] بأسلوب مسرحى

وتارة يُعلن آخر فى المدينة تفوقه البلاغى على شيشرون[3].

وتارة يدّعى أحد هؤلاء بأنه ضالع فى علم البلاغة،

حتى ليجعل من الأحمق متحدثاً بليغاً

كذلك الفلاح أو الريفى أو حتى الأبله:

"أجل أيها السادة، أبله أو حيوان أو حتى حمار؛

---

(١) الدجل والاحتيال. (المراجع)

(٢) ينوه لافونتين هنا إلى بعض الدجالين فى سوق من الأسواق خاصة فى مدينة سان جيرمان يستعرضون ألعابهم السحرية، على سبيل المثال: بعضهم يجعل حية تلدغه ولا يموت، أو يبتلع سماً ولا يؤثر فيه والبعض الآخر يستعرض حيوانات مدربة مثل الفئران..... إلخ.

(٣) عند الرومان خطيب بليغ.

فليحضر أحدهم لى حماراً شديد الغباء، ولسوف أجعل منه أستاذًا متفوقًا

حتى ليرتدى ثوب العلماء."

علم الملك بالأمر فاستدعى مدّعى البلاغة.

وقال له: "عندى فى حظيرتى حمار باهر الجمال من أركاديا[١]،

وكنت أرغب أن أجعل منه خطيبًا بليغًا"

أجاب الرجل على الفور: "سيدى، لك أن تطلب أى شىء."

فدفع له مبلغًا من المال وكان عليه –فى غضون عشر سنوات–

أن يجعل من حماره خطيبًا مفوهًا،

وإلا فليقبل أن يعلق والحبل حول رقبته فى ميدان عام

ويشنق على الملأ وتعلق على ظهره بلاغته مع أذنى حمار.

قال له أحد رجال البلاط إنه يعتقد بأنه سيراه قريبًا على آلة الإعدام

وأنبأه أن المحكوم عليه بالإعدام من الممكن تخفيف الحكم عنه

وقد يحصل على تعاطف الناس

---

(١) مقاطعة جبلية فى اليونان.

خاصة لو اهتم بإلقاء خطبة عصماء على الحضور

حيث يعرض فيها فنه بالتفصيل

حتى يفيد منه بعض الفقهاء

الذين يطلق عليهم السوقة "النصابين"

فأجابه الآخر: "قبل القضية سوف يموت أحدنا: الملك أو الحمار أو أنا."

وقد كان على حق. فمن الحماقة

الاعتماد على عشر سنوات من العمر.

فمهما كانت الصحة جيدة ومهما أكلنا وشربنا جيداً

فإننا ندين للموت بنسبة واحد إلى ثلاثة فى غضون عشر سنوات.

الحيوانات المصابة بالطاعون

مرض انتشر ونشر الفزع.

مرض أنزل غضب السماء به عقاباً لمقترفى الجرائم فى الأرض.

هو الطاعون (ما دام يجب ذكر اسمه)،

قادر على مضاعفة عدد الموتى فى يوم واحد.

شن الطاعون حرباً شعواء على الحيوانات.

لم يقض عليها جميعاً، ولكنها جميعاً أصيبت.

لم يحاول أحد منهم البحث عن غذاء ليقيم أود حياة تقضى نحبها.

لم يعد أى طعام يثير شهيتهم

لم تعد الذئاب والثعالب تتربص بفرائسها الآمنة البريئة،

كانت اليمامات تتفادى بعضها البعض

انعدم الحب ومن ثم انعدمت البهجة.

عقد الأسد اجتماعًا وقال:

"يا أصدقائى الأعزاء، أعتقد أن السماء قد سلطت علينا

هذا البلاء بسبب آثامنا التى اقترفناها.

ليقدم أكثرنا إثمًا نفسه قربانًا لسهام السماء الغاضبة؛

ربما يحصل على شفاء للجميع.

فقد علمنا التاريخ أنه فى مثل هذه الأحداث البشعة

لابد من تقديم تضحيات مثل هذه.

فدعونا ألا نجامل أنفسنا، ولننظر بلا تهاون

إلى حالة ضمائرنا؛

أما أنا فقد افترست كثير من الخراف، إرضاءً لشهواتى النهمة،

ماذا فعلت بى تلك الخراف البائسة؟ لم تؤذنى أبدًا.

بل أننى كنت أحيانًا ألتهم الراعى.

من الممكن أن أضحى بنفسى إذا لزم الأمر،

ولكنى أعتقد أنه من الأفضل أن يدين كل واحد نفسه مثلى؛

فعلينا أن نرجو - وفقًا للعدالة الكاملة -

أن يُهلَك الأكثر إثمًا.

قال الثعلب: "سيدى، أنت ملك صالح جداً،

وشكوكك تنم عن رقة مشاعرك.

حسنًا، ماذا يعنى التهام الخراف، عديمة الفائدة، تلك الفصيلة الغبية،

هل يعد ذاك إثمًا؟ كلا كلا، بل أنك يا سيدى قد شرفتها بافتراسك إياها

أما عن الراعى، فبوسعنا أن نقول إنه كان جديرًا بكل الشرور،

فهو من هؤلاء الناس الذين يتسلطون على الحيوانات

بدون وجه حق."

هذا ما تحدث به الثعلب، والمداهنون صفقوا له،

ولم يجرؤ أحد على الخوض أكثر من ذلك فيما فعله

النمر، ولا الدب، ولا الحيوانات القوية الأخرى

التى اقترفت من الذنوب ما لا يغتفر.

الكل، من الأشداء إلى أبسط كلاب الحراسة،

على حد قول كل منهم، كانوا كقديسين.

وجاء دور الحمار، فقال: "أذكر أنى مررت مرة بأيكة[1] صغيرة لبعض الرهبان،

---

(١) حديقة أو جنينة.

ودعانى الجوع والفرصة المواتية والعشب اليانع،

وأعتقد أيضاً أنى أصبت بمس شيطانى،

إلى أن أقضم من حشائش هذه الأيكة ملء لسانى.

ما كان يحق لى أن أفعلها ما دام علينا الاعتراف صراحة."

عقب هذه الكلمات أطلق الجميع صرخة اتهام فى وجه هذا الأحمق،

وجاء ذئب فقيه إلى حد ما،

فأكد وجوب التضحية بهذا الحيوان الملعون،

هذا الأجرب ذو الجلد المتقرح هو سبب البلاء.

اعتبروا خطأه البسيط هذا ذنباً يستوجب الشنق!

يأكل حشائش الغير! يا لها من جريمة شنعاء!

لا شىء سوى الموت كان جديراً بالتكفير عن جريمته.

وقد رأى ذلك جلياً.

حسبما ستكون قوياً أو بائساً

سوف تحكم المحكمة سواء ببراءتك أو باعتبارك مذنباً.

طائر البلشون[١]

ذات يوم كان طائر البلشون سائرًا

على رجليه الطويلتين محاذيًا لشاطئ ترعة،

لا أعرف إلى أين كان ذاهبًا

برقبته ومنقاره الطويلين.

كان الماء صافيًا رقراقًا كشأنه فى أجمل الأيام،

وسمكة "الشبوط" تتقافز وتدور آلاف الدورات

يصاحبها صديقها الزنجور[٢]،

كان البلشون يستطيع أن يلتهمها

فقد اقترب الجميع من الشاطئ،

---

(١) نوع من أنواع البجع له أرجل ورقبة طويلة ومنقاره طويل يشبه الجراب (معروف باسم أبو مركوب). (المراجع)

(٢) نوع من أسماك المياه العذبة محبب.

ولم يكن على الطائر إلا أن يمد منقاره ليأخذها،

ولكنه فضل أن ينتظر قليلاً

حتى تزداد شهيته للأكل

فهو يعيش بنظام ولا يتناول غذاءه إلا فى موعده.

وبعد بضع لحظات انفتحت شهيته،

فاقترب من الشاطئ؛

ورأى مجموعة من الأسماك الصغيرة "شبار" على صفحة الماء

قد صعدت من جحورها من الأعماق

ولكن الوجبة لم تعجبه؛

فانتظر الأحسن منها، ولم يحفل بها.

وقال لنفسه بكبرياء: "أنا البلشون آكل من هذا الشبار؟!

ياله من طعام لا يسمن ولا يغنى من جوع."

من تعتقدوننى!

وبعد أن رفض أسماك الشبار الصغيرة إذ به يجد غجوماً[1]؛

---

(١) نوع من أنواع السمك من فصيلة تقل كثيراً عن السابقة فهو قليل اللحم كثير الشوك. (المراجع)

فقال فى خيلاء: "أيصلح هذا طعاماً للبلشون!

هل أفتح فمى لشىء حقير كهذا! لا يمكن! مستحيل فلتحفظنى الآلهة."

ولكنه اضطر لفتح فمه لما هو أدنى من ذلك.

فقد اختفى السمك كله ولم تبق منه واحدة.

واستبد به الجوع حتى أنه شعر بسعادة غامرة

حين عثر على إحدى الديدان!

لنكن بسطاء غير متزمتين

فالأكثر سلاسة هم الأكثر مهارة

فمن الممكن أن نخسر كل شىء رغبة فى الكسب المبالغ فيه

احذروا ألا تزدروا شيئاً

خاصة لو كان قريباً مما تتطلعون إليه.

العربة والذبابة

يحكى أنه كان فى إحدى الطرق الوعرة المنحدرة،

وتحت أشعة الشمس المحرقة،

كانت عربة تسير، يجرها ستة من الجياد

تلهث وتتصبب عرقًا، وتحاول صعود المنحدر.

وكان بالعربة رجل دين ورجال مسنون ونساء

غادروا العربة جميعًا ليخف الحمل عن الجياد.

فجاءت ذبابة واقتربت من الجياد

تحاول بطنينها أن تحثها على السير.

فتارة تلثغ أحد الجياد، وتارة تلثغ الآخر؛

معتقدة أنها تحث العربة على المسير.

ثم تقف على السُّرع[١] ثم على أنف الحوذى.

---

(١) اللجام.

وبمجرد أن ترى العربة تسير والناس يمشون

تنسب لنفسها وحدها هذا النصر.

فتروح وتجيء، تبادر إلى حث الجميع

كأنها قائد حربى فى معركة ينتقل بين المحاربين

يبث فيهم النصر.

والذبابة تشكو جهدها المبذول؛ وكأنها هى وحدها المسؤولة

ولا أحد يهتم غيرها بمساعدة الجياد على الصعود.

كان رجل الدين يتلو صلواته...

ولكنه كان بطيئًا للغاية!

وكانت إحدى النساء تغنى ... أهذا فعلاً وقت مناسب للغناء!

وعليه كانت الذبابة تذهب لتطن فى آذانهم

وتقوم بالعديد من تلك الحماقات.

وبعد جهد جهيد، وصلت العربة إلى أعلى المنحدر،

فقالت الذبابة: "فلنلتقط أنفاسنا الآن!،

لقد بذلت مجهودًا كبيرًا حتى وصل هؤلاء إلى الأرض السهلة،

فتفضلوا الآن أيها الجياد وادفعوا لى أجر مشقتى!"

هكذا يفعل بعض النشطاء مدّعين الاعتناء بالغير

فيتدخلون فى شئون غيرهم

يدعون أهميتهم فى كل مكان بلا فائدة

وفى كل مكان يتم التخلص منهم.

بائعة اللبن وزلعتها

يحكى أن بائعة لبن كانت تحمل زلعتها التى تتوسد رأسها دون عقبات

قاصدة المدينة لتبيع لبنها،

وكانت فى ذلك اليوم ترتدى تنورة[١] قصيرة لتبدو رشيقة.

فتسير بخطا سريعة بحذائها المريح وسترتها القطنية الخفيفة،

أملة أن تصل بالسلامة.

كانت البائعة مشمرة عن ساعديها

تحسب فى رأسها كم ستكسب ثمنًا لهذا اللبن؟

وبدأت تستخدم النقود لتشترى بثمنه مائة من البيض

وتقوم بتفريخه ثلاث مرات متوالية،

وباجتهادها ومثابرتها وعنايتها

---

(١) جونلة أو جيبة.

تسير الأمور على مرامها،

وكانت تقول لنفسها: "من السهل عليّ أن أربى الدجاج حول بيتى،

ولن يستطيع الثعلب أن يسرق منى من الدجاج

ما لا يمكننى من اقتناء[1] خنزير

ولن يكلفنى الخنزير الكثير لأعلفه

فقد كان حين اشتريته كبيراً بما فيه الكفاية

وسوف أبيعه بثمن أعلى وأكسب بكل تأكيد

وحينها، من سيمنعنى من امتلاك بقرة مع رضيعها

وأضعهما فى حظيرتى

وأرى العجل وهو يمرح ويقفز وسط القطيع؟."

ومن فرحتها نسيت ما تحمله وقفزت

فوقعت الجرة وتحطمت

وانسكب اللبن.

إذاً، فوداعاً للعجل، وللبقرة، وللخنزير، وللبيض،

---

(١) سأشتريه وأربيه .

وتركت سيدة الأعمال، بعين دامعة، ثروتها منسكبة على الأرض.

وذهبت تعتذر لزوجها وجلة لئلا يضربها.

وتحولت القصة إلى موقف هزلى وأطلق عليها وعاء اللبن.

من منا لم يشطح خياله وهو فى الريف

ومن منا لم يبن قصوراً فى الهواء؟!!

حكماء كنا أم حمقى؟... الكل فعلها

من أعظم القواد فى التاريخ حتى هذه البائعة المسكينة.

الديكان

يُحكى أن ديكين كانا يعيشان فى سلام،

وما أن ظهرت دجاجة بينهما، حتى اشتعلت حربهما.

أيها الحب كنت أنت سبب حرب طروادة، وبسببك دارت هذه الحرب

الضروس بين الديكين، حيث انتشرت الدماء المتوهجة.

طالت المعركة بين الديكين

وانتشرت أنباؤها فى جميع الأرجاء،

وهرعت الديوك من كل الأنحاء إلى الميدان

وكانت غنيمة الفائز المنتصر أجمل الدجاجات.

وأما المهزوم فاختفى عن الأبصار وقبع فى مكمنه

يبكى خزيه وضياع حبه

الذى استولى عليه خصمه مفتخراً

بما حققه عليه من نصر.

فظل يجتر أحزانه كلما خلا إلى نفسه

ويتأجج الحقد فى صدره

وتتحرك الشجاعة فى قلبه

فأخذ يشحذ منقاره ويضرب الهواء بجناحيه،

مناطحًا الريح ومسلحًا بالغيرة المرة.

ولكنه لم يعد فى حاجة إلى ذلك:

فقد اعتلى منافسه المنتصر الأسطح، وأخذ يتغنى بانتصاره!

فإذا بعقاب يسمع صوته؛ فينقض عليه ويحمله بين مخالبه.

فوداعًا للحب والمجد والنصر.

وعاد المنافس المهزوم بعد أن خلا له الجو

يمشى بين الدجاجات فى خيلاء وعجب

وكم كان محظوظًا إذ نال العديد من الزوجات.

وهكذا يلعب القدر لعبته

فيقضى على نفسه بنفسه كل صَلِف[1] منتصر.

فعلينا دائمًا أن نأخذ حذرنا ونحتاط من القدر

بعد الانتصار فى المعارك

فالمعارك سجال[2]

---

(١) كبرياء.

(٢) تبادل النصر والهزيمة.

حيوان على سطح القمر

بينما أكد أحد الفلاسفة أن الحواس دائمًا تخدع البشر،

أقسم فيلسوف أخر بأن الحواس لم تخدعنا أبدًا.

كلاهما على حق، والفلسفة لا تجانب الحق إذ

تقول إن الحواس سوف تظل تخدع البشر

طالما يحكمون على الأمور بناء على ما يصلهم من خلالها.

بل أيضًا إن صححنا صورة المادة بالتوافق مع المسافة

التى تبعدها عن النظر،

ومع البيئة المحيطة بها،

ومع جملة الحواس وأدوات القياس،

فهنا لا يمكن للحواس أن تخدعنا.

إن الطبيعة تنظم هذه الأمور بكل حكمة،

وسأذكر يومًا أسباب ذلك باستفاضة.

إننى أرى الشمس، ما هو شكلها الخارجى؟

من هنا، على الأرض، هذا الجُرم الكبير لا يبلغ محيطه سوى ثلاثة أقدام؛

ولكن إذا رأيته هناك فى فلكه،

كيف ستبدو فى نظرى أبعاد "عين الطبيعة"[١] الحقيقية؟

وقد ساعدنى بُعد المسافة على تقدير عظمة حجمها،

حددتها بيدى على الزاوية والأضلاع.

يحسبها الجاهل مسطحة، بينما جعلت أنا استدارتها سميكة

وجعلتها ثابتة بينما الأرض تتحرك ببطء وانتظام.

باختصار، أنا أُكذب نظرى فيما يتعلق بكل تحركاتها.

حاسة النظر لم تؤذنى أبداً بخداعها.

ففى كل مناسبة أجد عقلى قادراً على اكتشاف الحقيقة

الكامنة وراء المظهر،

ولست أدعى الذكاء، فنظراتى متعجلة أكثر من اللازم،

ولا بأذنى التى تلتقط الأصوات ببطء.

ولكن عندما أرى انكسار صورة عصا مغمورة فى الماء،

---

(١) المقصود هو قرص الشمس.

أجد عقلى قادراً على تصحيح تلك الصورة.

فالعقل هو الملكة المتحكمة لدى الإنسان.

ولهذا حين تلجأ له عيناى فى طلب المعونة،

فلا يخدعنى أبداً، مهما رأت عيناى من أمور كاذبة.

فإذا سلمت بما تنقله العين من صور، وهو خطأ شائع،

يصبح القمر مكون من رأس امرأة.

فهل من الممكن أن تكون هناك امراة فعلاً؟

كلا. إذاً من أين جاءت تلك الصورة؟.

- بعض المواقع غير المستوية من بعيد وراء ظهور ذلك المنظر.

فسطح القمر ليس مستوياً بالمرة:

فهو جبلى فى بعض الأماكن، ومسطح فى أخـــرى؛

وتناوب الظل مع الضوء يمكن أن يصورا لنا إما رجلاً أو عجلاً أو فيلاً.

ولقد شهدت إنجلترا شيئاً مثل هذا .

فقد رصد المنظار فوق هذا الكوكب الجميل،

منظراً لحيوان غير معروف

وقد صاح الجميع متعجبين!!.

كان قد حدث تغيير فوق ذلك الكوكب يؤذن بحدث عظيم.

فهل كانت الحرب بين عدة قوى هى نتيجة لتلك الظاهرة؟

وقد سارع الملك[١] لرؤيته، فهو- كملك - يهتم بهذه المعارف العليا.

وقد ظهر له الوحش البادى على سطح القمر.

ولم يكن ذلك سوى فأر مختبئ بين العدسات،

وبدا من خلال المنظار وكأنه هو الظاهرة المسببة لهذه الحروب.

وقد ابتهج الجميع عند اكتشاف ذلك.

يا لكم من شعوب سعيدة[٢]! متى يقنع الفرنسيون أن يكرسوا أنفسهم للسلام؟

فقد أمدنا إله الحرب بالحصاد الوفير من الأمجاد.

فإنى أهيب بأعدائنا أن يخافوا المعارك،

بينما نحن نبحث عنها واثقين أن النصر سيكون حليفًا

للملك لويس[٣]، تابعًا إياه أينما ذهب.

---

(١) كان الملك حينئذ هو شارل الثانى الذى أسس الجمعية الملكية فى لندن.

(٢) المقصود هو شعوب إنجلترا وهولندا.

(٣) كان الملك لويس الرابع عشر حينئذ هو ملك فرنسا. (المترجم)

فانتصاراته سوف تكسبنا أمجاداً للتاريخ.

كذلك لن تغادرنا ملهمات الشعر،

فنتذوق المسرات؛ لأن السلام يحقق الأماني، ولا يسبب الأحزان.

أما الملك شارل فقد عرف كيف يتمتع به،

ففي قلب الحرب يعرف كيف يبرز فوائد السلام

ويقود بلاده إلى المآثر التي تتمتع بها حاليًا في السلم.

وخلال ذلك ماذا لو استطاع أن يهدئ الخلاف الدائر،

كم يكون جديراً بالاحترام ومكللاً بالكرامة؟

هل كان حكم (أوغسطس قيصر)[١] أقل مجداً من مآثر أول قياصرة الرومان؟

أيها الشعب السعيد!

متى يتحقق السلام ليجعلنا مثلكم، نتجه جميعًا إلى الفنون الجميلة؟[٢]

---

(١) إمبراطور روماني تميزت فترة حكمه بالسلام والاستقرار. (المراجع)

(٢) اخترت هذه الحكاية لتوضيح أن الأبحاث لاكتشاف القمر كانت قديمة وقد تناولها المؤلف في صيغة كوميدية. . ويوضح العلاقة بين إنجلترا وفرنسا منذ القدم من عهد الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا والملك شارل الثاني ملك إنجلترا، ونرى بوضوح حب المؤلف لتحقيق السلام ونبذ الحرب بين الدول. (المترجم)

الأســـد والذئب والثعلب

يحكى أن أسداً هَرِماً[1]، خائر القوى ومصاباً بالنقرس[2]

طلب دواء يشفيه من العجز،

(من العبث أن نقول للملوك: مستحيل).

طلب ملك الحيوانات أطباء من كل نوع، وفى مختلف الفروع.

جاء الأطباء من كل حدب وصوب.

ووفد إليه المتطوعون من كل الأرجاء،

وخلال تلك الزيارات العديدة، اعتكف الثعلب وانطوى على نفسه،

أما الذئب فأخذ يتملق الملك ويغتاب صديقه الثعلب فى غيبته.

وفى الحال أمر الملك بحرق منزل الثعلب وبإحضاره على الفور.

حضرالثعلب ومثل بين يدى الملك؛ فعرف أن الذئب هو الذى دبر له تلك المكيدة،

---

(١) طاعن (كبير) فى السن.

(٢) مرض يصيب الإنسان من أكل اللحوم والبروتينات بكثرة، ويسبب ما يسمى باليوريك أسيد.

فقال: "أخشى يا سيدى أن يكون قد وصلك خبر غير صادق عنى،

وألا تكون قد ألصقت بى تهمة غادرة

بأنى تخلفت عن هذا الشرف؛ فالذى أخرنى عن رؤية سموك

هو أنى كنت أؤدى فريضة الحج،

وأوفى نذرًا قد أخذته على نفسى لشفائك.

فقابلت فى سفرى الكثير من الخبراء، ولاقيت ما لا يحصى من العلماء،

وعرضت عليهم مرض سموك، وانحطاط قواك وها هو ما قالوه بكل أمانة:

سموك تحتاج إلى الدفء والحرارة؛

فسنك الطاعن قد قضى عليها؛

فوصفوا لك جلد ذئب مسلوخ حيًا

لتستخدم جلده الدافئ المُدخن.

السر فيه بدون شك مفيد لطبيعة مرضك.

وسيدى الذئب، إذا سمحت، سيكون لك بمثابة رداء."

استحسن ملك الحيوانات هذا الرأى؛

فأصدر أمره، فسُلخ الذئب وقُطعت أوصاله،

وتعشى به ملك الحيوانات، ثم تدثر بجلده.

أيها السادة، رجال البلاط الملكى، توقفوا عن تدمير بعضكم بعضاً

تملقوا الملوك دون إيذاء الآخرين، إن استطعتم إلى ذلك سبيلاً

فالشر لديكم يوازى أربعة أضعاف الخير

وستدور الدوائر على المغتابين، بشكل أو بآخر

ففى مجال عملكم لا يمكن التسامح مع الخطأ.

الرجل المهزار والسمكة

هناك من يبحث عمن يجيدون الهزل، أما أنا فأتجنبهم.

فالهزل يتطلب قدرة عالية

والله لم يخلق هؤلاء المهزارين الذين يتفكهون فى أية مناسبة

إلا عقابًا للحمقى.

وربما ينال إعجابكم ما سوف أحكيه لكم عن أحدهم.

كان أحد هؤلاء المهزارين يجلس إلى مائدة أحد رجال المال،

ولم يكن أمامه سوى سمك صغير،

وأما السمك الكبير فكان فى ركن بعيد عنه من المائدة.

حينئذ تناول سمكة صغيرة مما أمامه وهمس فى أذنها،

ثم تظاهر أنه بدوره يستمع إليها ولإجاباتها.

ظل الحضور مندهشًا وتسبب فى جذب انتباههم.

عندئذ قال المهزار بلهجة رصينة

إن له صديقًا كان قد رحل إلى أمريكا

منذ عام ويخشى أن يكون قد غرق؛

فكان يستعلم عن ذلك من هذه السمكة الصغيرة.

ولكن الكل أجابه بأن تلك السمكة صغيرة السن جدًا

ولذا لا يمكنها معرفة حقيقة مصير ذلك الصديق

ولكن السمك الكبير يعرف خيرًا منها.

"فهلا أعطيتمونى أيها السادة سمكة كبيرة حتى أسألها؟"

هل تذوق الحضور فكاهته،

أشك فى ذلك، ولكنه فى النهاية نجح فى

أن يحملهم على أن يقدموا له سمكة كبيرة جدًا تُعَد من الشيوخ

لتبلغه بكافة أسماء مكتشفى العالم المجهول، الذين لم يعودوا منه

ومن استقر منهم فى قاع المحيط وتعرفت عليه وحوش البحار قديمًا.

الفـــأر والمحــــارة

يحكى أن فأرًا من سكان الحقول

كان مغرورًا قليل العقـل

فقرر أن يترك بيت آبائه وأجداده

ليجوب البلاد طولاً وعرضًا.

وما أن ترك جحره

حتى هاله الفضاء الفسيح من حوله،

فالجبال شامخة عن يمينه ويساره،

ومجرد كومة من التراب تبدو له وكأنها جبل.

وبعد بضعة أيـام

وصل الفأر الرحالة إلى شاطئ البـحر،

وأدهشه ما رأى من محار متناثر على الشاطئ

حتى خالها سفن أعالي البحار،

فقال في نفسه: "حقًا، إن والدي كان مسكينًا يخشى السفر والترحال،

أما أنا فقد رأيت مملكة البحار وعبرت القفار

دون قطرة ماء."

كان الفأر قد تعلم هذه الأشياء من أحد الأساتذة

وكان يلهج بها بين الحقول،

فلم يكن من هؤلاء الفئران المغرمين

بقرض الكتب ولا بالتسلح بالعلم.

فمن بين المحارات المقفولة

تفتحت واحدة في الشمس تستنشق الهواء العليل

بيضاء جميلة ودسمة توحي بمذاق لا مثيل له،

وما كاد الفأر يراها من بعيد حتى قال في نفسه:

"ماذا أرى؟ تلك وجبة شهية، فسأتناول اليوم طعامًا شهيًا."

وعليه، اقترب الفأر من المحارة مفعمًا بالأمل البراق

ومد عنقه إليها...

وفجأة شعر كأنه في قاع البحر.

فقد أطبقت المحارة على رقبته.

وهذا جزاء الجهل والتسرع.

هذه الحكاية تعلمنا أكثر من حكمة.

فأما الأولى: إن قليلى الخبرة فى الحياة، يبهرهم أقل شىء.

وأما الثانية: فنتعلم منها أنه هكذا يقع فى الشرك من يتصور أنه استطاع أن يحصل على كل شىء دون ثمن.

الدب وهاوى الحدائق

يحكى أن دبـًا جبليًا لم يتمتع بحنو الأم

رماه الحظ فى غابة موحشة، كأنه بطل أسطورى

يعيش منزويًا بمفرده حتى فقد صوابه؛

فالعقل لا يستقر طويلاً لدى من يعيشون فى عزلة.

فحبذا الكلام، مع أن الصمت يكون أفضل أحيانًا،

ولكن الاثنين إذا زادا عن الحد كانا أسوأ من بعضهما البعض.

ولم يكن يمر أى حيوان حيث كان يحيا الدب

حتى أنه سئِم تلك الحياة التعيسة وهو المعروف بانطوائه وحبه للوحدة.

وبينما الدب مستسلم لأشجانه،

لاح بالقرب منه رجل مُسن يجتر أحزانه هو الآخر.

كان الرجل يهوى الحدائق الغنَّاء ويقدِّر النباتات والفواكه والأشجار.

هذان العملان ممتعان... ولكنى أرغب فى صديق بين الحدائق

صديق لطيف وهادئ، فالحدائق لا تتحدث إلا لمامًا

(قد يحدث ذلك فقط فى كتاباتى).

حتى أن الرجل لما فاض به الكيل من فرط الوحدة

خرج يوماً باحثاً عن الصحبة بين الحقول.

وكان الدب أيضاً منحدراً من الجبل تحدوه نفس الرغبة

فجمعتهما الصدفة وتقابلا عند ركن في الطريق

وهما على حالتهما البائسة هذه.

فأما الرجل، فقد تملكه الخوف من الدب،

ولم يستطع الهرب فتظاهر بالشجاعة ورباطة الجأش.

وأما الدب الذى لا يعرف المجاملة،

فقد قال للرجل: "ألا تأتى لزيارتى."

فأجاب الرجل: "سيدى..أنت ترى كيف أعيش

ويشرفنى أن أحظى بتشريفك لى

لتناول وجبة ريفية معى، فعندى اللبن والفاكهة.

ربما لا يكون هذا الغذاء معتاداً لدى الدببة ولكنى أقدم ما عندى."

فقبل الدب الدعوة وذهب معه.

وها هما قد أصبحا صديقين حتى قبل وصولهما إلى المسكن،

ولما وصلا أصبحا على خير حال معاً

بالرغم من أنه – على ما يبدو – من الأفضل أن يعيش الإنسان وحيداً

على أن يعيش مع الحمقى.

ولما كان الدب صامتًا لا يتفوه طوال اليوم بكلمتين،
كان الرجل يقوم بعمله فى هدوء.
وكان الدب يخرج إلى الصيد، ليأتى بالفريسة
ثم يمارس مهنته الرئيسية فى مطاردة الذباب بمهارة
لإبعاد تلك المتطفلة المجنحة التى نطلق عليها ذبابة
عن وجه صديقه النائم.
وذات يوم كان الرجل يغط فى سبات عميق
فوقفت على طرف أنفه ذبابة.
أجهضت كل محاولات الدب لإبعادها.
فقال لها مغتاظًا: "أعرف كيف سأمسك بكِ."
وفى الحال نفذ هذا المطارد الهمام وعيده،
فتناول شقفة وألقاها بشدة ليسحق الذبابة
فهشم رأس الرجل.
فبقدر ما كان راميًا ماهرًا كان ذهنه أخرق،
فقد مدد صديقه على الأرض جثة هامدة بلا حراك.

ليس هناك أخطر من صديق جاهل،
فإن العدو العاقل أفضل منه.

الخنزير والعنزة والخروف

يحكى أن عنزة وخروفًا وخنزيرًا سمينًا

كانت محمولة فى عربة واحدة إلى السوق

ليس بهدف التسلية ولكن بغرض بيعها هناك.

ولم يكن الحوذى ذاهبًا بها إلى حفل.

وفجأة صرخ الخنزير فى الطريق وكأن مائة جزار يجدُّون فى أثره،

بصوت يصم الآذان.

ولأن الحيوانات التى تصحبه مخلوقات وديعة.

فقد تعجب الناس لصراخه طلبًا للنجدة،

ولم يدركوا ما يدعو لخوفه.

فقال له سائق العربة: "لماذا تشكو هكذا؟

أنت تزعجنا بصياحك هذا؛ فلماذا لا تهدأ؟

العنزة والخروف أفضل منك،

فليعلماك السلوك المهذب أو التزام الصمت؟!

انظر إلى هذا الخروف، هل تفوه بكلمة واحدة. إنه عاقل".

أجاب الخنزير: "بل هو أحمق

لو كان يعرف ما سيحدث له لصرخ مثلي،

بأعلى صوته؛

وهذه العنزة ستطلق صرخات مدوية.

هما يظنان أن كل ما في الأمر هو استغلال

لبن العنزة وجزّ صوف الخروف،

لست أدري إن كانا على حق،

أما بالنسبة لي؛ أنا الذي لا أصلح إلا للأكل، فإن موتي أكيد.

فوداعًا لحظيرتي ولبيتي."

لقد تحدث السيد الخنزير حديثًا عاقلاً ورزينًا.

ولكن ماذا يفيد العقل إذا كان وقوع البلاء محتوماً،

فلا الشكوى ولا الخوف يغيران القدر،

والأقل تبصراً يكون دائمًا هو الأرجح عقلاً.

الفأر والفيل

يحكى أن فأراً من أصغر الفئران

قد شاهد فيلاً ضخماً؛

فسخر من مشيته البطيئة،

حيث كان يسير فى وسط صحبة كبيرة.

وكانت تعتلى هذا الحيوان الهائل

كأنه برج من ثلاثة طوابق

سلطانة لها مكانتها، ومعها حاشيتها

وكلبها وقطتها وقردتها وببغاؤها

كانت جميعها تسافر لقضاء فريضة الحج.

وتعجب الفأر لما رأى

دهشة الناس وانبهارهم

بهذه الكتلة الهائلة؛

فقال: "وكأن حجم الحيز الذى نشغله هو ما يحدد أهميتنا!!

ولكن أيها الناس ماذا يعجبكم فيه؟

أهو ذلك الجسد الضخم الذى يخيف الأطفال؟."

وكان سيسترسل فى أقواله لولا أن القطة خرجت من قفصها، وأرته فى أقل من لحظة أن الفأر ليس فيلاً.

الحمار والكلب

التعاون المتبادل واجب تفرضه علينا الحياة

ولكن الحمار استهزأ بهذه الحكمة يومًا

ولست أدرى كم احتاجها

فهو مخلوق مسالم.

كان مزارع يقتنى كلبًا وحمارًا.

وكان الحمار يسير فى صحبة الكلب

هادئًا لا يلوى على شىء.

وحدث أن نعس صاحبهما بأحد الحقول

وأخذ الحمار يرعى الكلأ اليانع الذى يحبه

ويملأ منه بطنه

فمن النادر أن تسنح فرصة كهذه

يجد فيها كل ما يحلو له من الغذاء

فلم يمتنع وأسرف فى اقتلاع الحشائش.

أما الكلب الذى كان يتضور جوعًا،

فقد قال له: "أرجوك أن تنحنى قليلاً يا صديقى العزيز،

لأتمكن من التقاط غذائى من سلة الخبز التى تحملها فوق ظهرك"

ولكن الحمار لم يرد عليه ولو بكلمة،

فقد خاف أن تفلت منه لحظة تفوّت عليه الوجبة الشهية.

وتظاهر طويلاً بالصمم،

وأخيرًا أجاب قائلاً: "أنصحك يا صديقى

بانتظار سيدك حتى يستيقظ من نومه،

وحينئذ سوف يعطيك وجبتك المعتادة،

وهو لن يتأخر كثيرا بكل تأكيد."

فى هذه الأثناء

خرج ذئب جائع من الآجام[1]؛

وكان هو أيضًا حيوانًا جائعًا

---

(١) الغابات.

فاستغاث الحمار بالكلب؛

فلم يتحرك من مكانه وقال له:

"أنصحك يا صديقى بأن تهرب

حتى يستيقظ سيدك،

وهو لن يتأخر كثيراً بكل تأكيد.

اجرِ واهرب وإذا تعرض لك الذئب فحطم أنفه

فلديك سنابك[١] جديدة،

وإن صدقتنى، فسوف تستطيع طرحه أرضاً."

وخلال الإسهاب فى هذا الحديث

انقض الذئب على الحمار والتهمه.

وأخلُص من هذا إلى ضرورة التعاون المتبادل

.

---

(١) هى ما يركّب فوق حوافر الخيول والحمير حتى تستطيع السير فى الطرق الوعرة وتكون مصنوعة من الحديد. (المراجع)

فائدة العلم

انفجر خلاف بين اثنين من أهالى إحدى المدن.

كان أحدهما فقيراً ولكنه حاذق

والآخر ثرياً ولكنه جاهل.

وكان الثرى يريد أن تكون له الأفضلية على منافسه،

فادعى أن أى رجل عاقل ينبغى أن يوقره.

أو بالأحرى أى رجل أحمق؛

فماذا يحملنا على تقدير الأموال دون الجدارة؟

لا يبدو لى السبب مقنعاً.

وكان الجاهل يقول دائماً للعالم: "ياصديقى أنت تعتبر نفسك جديراً بالتقدير،

ولكن أخبرنى؛ إذا دُعيت إلى وليمة،

فماذا ينفعك أنت وأمثالك من القراءة المستمرة؟!

إنهم – أى أمثالك من المثقفين – يقيمون دائمًا بالطابق الثالث[1]،

ويرتدون صيفًا ما يرتدونه شتاء

وليس لهم خدم يعينونهم على قضاء حاجاتهم

فما حاجة الدولة لأناس لا ينفقون شيئًا!

أما بالنسبة لى فالرجل المهم هو من يغدق الأموال على رفاهيته.

يعلم الله، إننا نحن – معشر الأغنياء – نستهلك الكثير

فمتعتنا تشغل الصائغ والتاجر والترزى ومن يتعامل معه

وأنتم – أيها المتعلمون – من تقدمون إلى رجال المال

حسابات عسيرة قبل أن تدفعوا ما عليكم."

وقد نالت هذه الكلمات الوقحة ما تستحقه.

التزم الرجل المتعلم الصمت، كان لديه الكثير ليقوله.

ولكن الحرب كانت أسبق وانتقمت له شر نقمة، أشد كثيراً من الهجاء.

وهدمت آلهة الحرب المكان الذى يقطنه هذان الشخصان.

---

(١) المقصود تحت السقف بالمخزن وهى أماكن زهيدة الإيجار وفى ذلك إهانة للمثقف.

فهجر كلاهما مدينته.

فظل الجاهل بلا مأوى، وفى كل مكان كان يتعرض للاحتقار.

أما الآخر فقد وجد حظوة جديدة فى كل مكان.

وهكذا حسم الخلاف بينهما.

اترك الحمقى يتكلمون .. ستبقى للمعرفة قيمتها.

الحمامتان

يحكى أن طائرى حمام كانا يعيشان فى حب ووئام

ولكن أحدهما ضاق بالعش، فقادته الرعونة

إلى القيام برحلة إلى بلد بعيد.

فقال له وليفه: "ماذا ستفعل؟ أتريد أن تترك أخاك؟،

إن الفراق هو أقسى الآلام.

ولكنك لا تعتد به أيها القاسى! ألا تثبط مشقة السفر

ومخاطره وهمومه من عزيمتك؟

فاصبر حتى يعتدل الجو ويأتى النسيم العليل مع الدفء

المصاحب لتقدم فصول السنة، ففيم العجلة؟!

فهناك غراب كان يحذر -للتو- طائراً ما مما يتهدده.

لن أذكّرك بالحوادث والملمات ولا بالصقور المحلقة ولا بالشباك المنصوبة

وإنما سأقول لك فقط إن الطقس ممطر."

"هل لديك يا أخى كل ما يلزمك من عشاء طيب ومأوى مناسب وما إلى ذلك؟"

أثر هذا الحديث فى قلب مسافرنا الطائش،

ولكن الرغبة فى المشاهدة والقلق المتأجج تغلب على العاطفة

فقال: "لا تبك يا أخى؛ ثلاثة أيام على الأكثر سوف تكفينى؛

ثم أعود بعدها لأقص عليك مغامراتى بالتفصيل.

سأفرّج عنك الهم، لأن من لا يرى الكثير لا يجد لديه ما يحكيه.

إن وصفى لرحلتى سيكون متعة هائلة بالنسبة لك.

فسوف أقول: "لقد كنت هنا أو هناك وقد حدث لى هذا أو ذاك،

وسوف تعتقد أنك أنت شخصياً كنت هناك."

بهذه الكلمات، ودّعا بعضهما وهما يبكيان.

ابتعد المسافر؛ وظهرت غيمة قاتمة اضطرته إلى أن يهبط فى مكان ما.

لم يكن أمامه سوى شجرة تقف منفردة، حتى أنه تعذب بالعاصفة

برغم احتمائه بأوراقها.

وحين هدأت الريح، استأنف الرحالة طريقه وهو مرهق

يجفف بقدر ما يستطيع جسده الذى يقطر مطراً.

و رأى فى أحد الحقول عن بعد، قمحًا منثورًا

كما رأى حمامة بالقرب منه، فأغراه المنظر

وطار إليه، فوقع فى الشرك.

كان هذا القمح يغطى مصيدة خادعة.

لكن الشرك كان باليًا، فاستطاع الطائر بجناحه،

وبأرجله، وبمنقاره قطع خيوطه أخيرًا.

ولكنه فقد بعضًا من ريشه فى الشرك؛ وأسوأ ما فى الأمر

أن عُقابًا، قوى المخالب،

رأى هذا البائس وقد علق برجليه الخيط

وبعض قطع من الشَرك الذى وقع فيه،

كأنه هارب محكوم عليه بالأشغال الشاقة.

فهجم عليه العقاب، ولكن فى نفس اللحظة

هبط من بين السحب نسر باسطٌ جناحيه

وهاجم بدوره العقاب.

انتهز طائر الحمام صراع اللصين،

فطار، وهبط بالقرب من كوخ،

معتقداً هذه المرة، أن آلامه سوف تنتهى بهذه المغامرة.

ولكن طفلاً صغيراً خبيثًا (فهذه السن لا تعرف الشفقة)

تناول مقلاعه، وبضربه واحدة

أردى الطائر البائس شبه قتيلٍ،

فقد كسر جناحه وصار يجرجر رجله

فلملم المسكين ما تبقى منه زاحفًا بجناحيه،

نصف ميت ونصف أعرج،

واتجه مباشرة عائدًا إلى العش، لاعنًا فضوله.

وعانى ما عاناه حتى وصل إليه

دون مغامرة مأساوية أخرى.

وهاهما صديقانا قد التقيا من جديد،

وأترك لكم الحكم

على ماتمتعا به من أوقات سعيدة

عوضًا عما حاق بهما من آلام.

أيها المتحابان! السعيدان! أترغبان فى الترحال؟

فليكن ذلك إلى الشواطئ القريبة.

ليكن كل منكما للآخر، عالمًا جميلاً دائمًا،

ومتنوعًا دائمًا، وجديدًا دائمًا.

استغنيا ببعضكما البعض عن كل شيء ولا تهتما بالبقية.

فقد أحببت يوما: وحينئذ ما كنت لأبدل الغابات

ولا المواقع التى شرفتها خطوات الراعية الصغيرة التى أحببتها

وأنارتها عيونها

لا بمتحف اللوفر وكنوزه،

ولا حتى بالسماء وقبتها السماوية.

تلك المحبوبة التى خدمت من أجلها تحت لواء الحب

ملتزمًا بعهودى الأولى.

واحسرتاه! متى ستعود مثل هذه الأوقات؟

أكان لزامًا أن تتركنى تلك المخلوقة المحببة إلى نفسى

حتى أعيش هائمًا بروحى القلقة؟

آه لو كان قلبى يجرؤ ثانية على أن يلتهب

ألن أشعر ثانية بذلك السحر الذى يشل كيانى؟

هل تجاوزت العمر بالنسبة للحب؟؟.

القــرد والفهـــد

يحكى أن قرداً وفهداً كانا يعرضان ألعابهما في ساحة السوق

وكان كل منهما يعلن عن نفسه على حدة.

قال أحدهما: "أيها السادة إن سمعتي ومجدي يجوبان الآفاق،

حتى أن الملك يرغب في رؤيتي،

وعند موتي، يرغب في الحصول على صديري من فرائي

لأنه مرقط أو مضلع أو مخطط."

وتلك النقوش تروق لكل من يراها.

في البداية ذهب الجميع لرؤيته

وحالما انتهوا من رؤيته، خرج الجميع.

أما القرد فقد قال عن نفسه:

"هلموا أيها الناس، وأنصتوا إليّ، رجاءً؛

فلي العديد من حركات المراوغة والدهاء.

إن ما سمعتم عنه كثيراً من التنوع

يملكه الفهد على جلده فقط؛

أما أنا فأملك التنوع العقلى. أنا خادمكم وحيوانكم المفضل القريب إليكم. لقد جئت خصيصاً إلى مدينتكم لأحدثكم؛

لأنى أستطيع الحديث ويمكن أن تفهمونى، وأعرف الرقص والباليه،

وأعمل كل أنوا ع المقالب،

وأقفز من بين الأطواق؛ وكل ذلك بست من الفضة؛

كلا أيها السادة؛ بل خمس فقط،

وإن لم تسروا بالعرض

فسوف نرد لكم نقودكم، عند الخروج."

حقًا، إن القرد لصادق.

فالعقلاء لايأخذون بالمظهر،

ولكنهم يعجبون بالعقل؛

فالعقل يمدنا دائماً بالطرائف،

أما المظهر فزائل يمله الناظرون سريعاً

فكم من كبار القوم يشبهون الفهد،

لا يملكون من المواهب غير المظهر.

الفأرة التى تحولت إلى فتاة

يحكى أن فأرة سقطت من منقار بومة.

عن نفسى ما كنت لألتقطها،

ولكن أحد رهبان البراهما الهنود التقطها.

أعتقد ببساطة أنه لكل بلد أفكاره.

كانت الفأرة على شفا الموت.

نحن لا نعنى بهذا النوع من الحيوانات ولا نهتم لآلامها،

ولكن شعب البراهما يعاملها بمثابة إخوة.

فمن بين معتقداتهم، يؤمنون أن الروح لدى خروجها

من أحد الملوك، تدخل فى دودة العُثة

أو فى أى حيوان آخر حسبما يقدَّر لها.

وقد اقتبس منها فيثاغورث فلسفة التناسخ.

وعليه، اعتقد راهب البراهما[1] أنه أحسن فعلاً

---

(١) البراهمانيون أصحاب الحضارة الهندوسية أو الهندية.

حين رجا أحد السحرة أن يقوم بإعادة الفأرة

إلى الجسد الذى كانت تسكنه فى سالف الزمان.

فحولها الساحر إلى فتاة عمرها خمسة عشر ربيعًا،

وفى غاية الجمال،

لو رأها (باريس)[١] (ابن بريام)، لانجذب إليها

أكثر مما انجذب إلى (هيلين) نموذج الجمال اليونانى.

ودهش البراهمانى لهذا التغير الجديد.

فقال لهذه المخلوقة الرقيقة: "ليس عليك سوى الاختيار؛

فالكل يتسابق لينال شرف الزواج بك."

قالت الفتاة: "إن كان الأمر هكذا

فإنى أعطى صوتى إلى الأقوى بين جميع المتقدمين لى".

فهتف البراهمانى ساجدًا لقرص الشمس: "أيا قرص الشمس!

إذًا ستكون أنت صهرنا لأنك الأقوى."

قال قرص الشمس: "كلا، فتلك الغيمة الكثيفة أقوى منى،

بما أنها تحجب شعاعى، أنصحك بأن تختارها."

---

(١) بريام وباريس وهيلين من أبطال الميثولوجيا اليونانية، أى الأساطير اليونانية.

فقال البراهمانى للسحاب الطائر: "هل أنت من ولدت من أجل ابنتى."

قال السحاب: "للأسف كلا، لأن الريح تدفعنى كما تريد

من مكان إلى مكان،

وأنا لن أتعدى أبدًا على آلهة الريح"

فصاح البراهمانى متكدرًا: "إذًا أيتها الريح، ما دامت هناك ريح لتكن سكناك فى أحضان جميلتنا!"

هبت الريح مسرعة، ولكن اعترضها جبل فى الطريق، فأوقفها.

والكرة[1] عند مرورها إلى الجبل صدها قائلاً:

"أنا على نزاع مع الفأر، ومن الجنون أن نضايقه

فهو قادر على أن يثقبنى."

عندما سمعت الآنسة كلمة فأر،

تنبهت وفتحت أذنيها: وصار هو الزوج.

فأر! فأر! ليكن. هكذا يصنع الحب

والأمثلة على ذلك كثيرة

---

(١) الكرة مقصود بها الفتاة التى تنتقل من شخص إلى أخر مثل الكرة التى يتقاذفها اللاعبون.

ولكن دع تلك الأمور سراً بيننا.

إننا نتمسك دائمًا بالأصل الذى انحدرنا منه.

هذه الحكاية تؤكد هذا المبدأ؛ ولكن لو تأملناها عن كثب

نجد بها شيئًا يسيراً من الصوفية.

لأن من هو الزوج الذى يستطيع منافسة قرص الشمس؟

ولو فكرنا بنفس الأسلوب، أيكون المارد أضعف من البرغوث؟

فهو يستطيع أن يلثغه.

وعلى ذلك فالفأر أيضًا يمكن أن يرسل الفتاة إلى القط

(فهو يهرب منه)

ثم من القط إلى الكلب، ومن الكلب إلى الذئب.

واستمراراً فى تلك الدائرة

لصعد الشاعر (ميلبى) فى النهاية إلى قرص الشمس من جديد.

ولكان قرص الشمس قد تمتع بهذا الجمال الغض.

فلنعد، إن أمكن، إلى موضوع التناسخ

فالساحر البراهمانى لا شك أنه تصرف تصرفًا

كشف عن زيفه ولم يستطع إثباته.

سأسمح لنفسى بمعارضة ظاهرة التناسخ ضد الفكر البراهمانى؛

لأنه وفقًا لنظامه، يحصل كلٌ من الإنسان والفأرة والدودة

على روحه من مورد واحد مشترك:

فالأرواح جميعًا إذًا من طينة واحدة؛

ولكنها تتصرف بشكل مختلف، كلٌ وفقًا لجسده.

منهم من يمشى، ومنهم من يزحف.

إذًا كيف عجز هذا الجسد حسن التكوين

عن أن يجبر الروح التى سكنته على الارتباط بقرص الشمس؟

وكيف حاز فأر على مشاعرها؟

كل شىء تم التفكير فيه، وكل شىء له موازين خاصة،

فأرواح الفئران وأرواح الجميلات شديدة الاختلاف فيما بينها؛

وعلى كل منا العودة إلى قدره دائمًا،

أى إلى القانون الذى سَنته السماء.

مهما تحدثت إلى الشيطان، أو استخدمت السحر

فلن يمكنك تغيير مصير أى مخلوق.

الفأران و الثعلب والبيضة

يحكى أن فأرين كانا يبحثان عما يقتاتان به، فعثرا على بيضة.

كان هذا العشاء كافيًا بالنسبة لهما،

لم يكونا فى حاجة إلى العثور على ثور،

كان يغمرهما الحبور[١] والشهية المفتوحة

وكانا على وشك أن يأكل كل منهما نصيبه.

عندما ظهر لهما شريك ثالث، كان هو السيد ثعلب.

وكان هذا لقاء غير مرغوب فيه ومكدِّر!

فكيف يمكنهما إنقاذ البيضة؟ فغلفاها معًا

ثم بأقدامهما الأماميتين حملاها معًا،

ولكن أين يدفعانها أو إلى أين يسحبانها.

---

(١) السرور والسعادة.

كان الأمر مستحيلاً بقدر ما هو خطر،

ولكن الضرورة، أم الاختراع، أسعفتهما بفكرة:

لما كان بوسعهما أن يبلغا جحرهما،

وكان الماكر على بعد عدة أمتار منهما،

استلقى أحدهما على ظهره، وأخذ البيضة بين ذراعيه،

ثم بالرغم من بعض الآلام والخطوات المتعثرة،

جذبه الآخر من ذيله.

فلا تقل لى بعد تلك الحكاية إن الحيوانات ليس لها عقل

ولو كان الحكم بيدى

لكنت عاملتها كالأطفال.

السلحفاة والبطتان

كانت هناك سلحفاة حمقاء تريد أن تجوب البلاد
بعد أن سئمت جحرها.
فعادة ما يعجب الناس بالأرض الغريبة،
وعادة ما يبغض الأعرج مسكنه.

فعرضت الفكرة على بطتين،
فقالتا لها إن لديهما مايرضيها:
"هل ترين هذا الطريق العريض؟
سنحملك فى الجو إلى أمريكا،
وستشاهدين بلاداً وممالك كثيرة وشعوباً غريبة،
وتكتسبين عادات وتقاليد مختلفة ستلاحظينها..."
استمعت السلحفاة للاقتراح وقبلته.

أعدت البطتان العُدة لحمل السلحفاة المسافرة:

فأحضرتا عصاً، وطلبت البطتان من السلحفاة

أن تمسك بفكيها العصا من الوسط،

وأوصتاها بألا تفتح فمها مهما حدث وتترك العصا.

وأمسكت بطة بطرف العصا والأخرى بالطرف الآخر.

وطارت البطتان بهذا المنظر العجيب،

السلحفاة طائرة، والناس يتطلعون بدهشة وتعجب؛

كيف يطير هذا الحيوان البطيء بهذه الطريقة وسط هاتين البطتين،

السلحفاة وقحفها[١]؟!

والناس يصيحون: "يالها من معجزة! هلموا لتنظروا

ملكة السلاحف تطير في السحاب."

فقالت: "ملكة! نعم ملكة فعلاً فلا تسخروا."

وياليتها ما قالت ذلك، وكان خيراً لها أن تلزم الصمت

دون أن تتفوه بشيء

---

(١) الطبق المدرج فوق ظهرها ويعتبر بيتها.

فقد تركت العصا التى تتعلق بها وهى تفتح فمها؛

فهوت على الأرض فاقدة الحياة بين أقدام المتفرجين.

فقد تسبب طيشها وقلة تبصرها فى هلاكها.

الطيش والتهور، والغرور الأحمق،

والفضول الزائف، أمور مرتبطة ببعضها ارتباطًا وثيقًا

تنتمى كلها إلى أصل واحد.

السمك والراعى عازف الناى

يُحكى أن راعيًا كان يعزف لزوجته الراعية

أنغامًا جميلة ساحرة على الناى

جديرة بأن تمس أوتار القلوب وتُطرب حتى الموتى.

وكان يغنى يومًا على شواطئ نبع يروى المروج والسهول المزدهرة،

بينما كانت الزوجة تصطاد وضاع جهدها هباء

دون أن تقترب منها سمكة واحدة،

ومع أن أغانى الراعى كانت قادرة على جذب قساة القلوب،

فقد اعتقد خطأ أنه قادر على اجتذاب السمك.

فقد غنى لها قائلاً: "يا أهل البحيرة، اتركوا جنية البحر فى كهفها العميق

وتعالوا لتشاهدوا ما يفوقها جمالاً

لا تخشوا أبدًا الدخول فى الأسر لدى تلك الجميلة؛

إنها لا تقسو إلا علىّ، أما أنتم فسوف تعاملكم بلطف؛

فحوض السمك الذى ينتظركم أكثر شفافية من البللور النقى؛

وحتى لو وقع البعض فى الشرك،

فالموت بيد حبيبتى ما أروعه من مصير."

هذا الحديث البليغ لم يكن له أثر كبير؛

فقد كان المستمعون بكمًا وصمًا.

بالرغم ما قاله الراعى من كلام معسول فقد ذهب كلامه أدراج الرياح.

فأخذ شبكة طويلة وبسطها، وهكذا استطاع اصطياد السمك

وجاء به ليقدمه عند قدمى راعيته الحسناء.

وأنتم، يا رعاة البشر لا الغنم،

أيها الملوك، يا من تظنون أنكم تؤثرون فى مختلف الجماهير الأجنبية بالحجج والكلام المنطقى.

ليست تلك هى الطريقة المناسبة للتغلب عليهم؛

عليكم باتباع أسلوب آخر:

استخدموا شباككم؛ فالقوة قادرة على كل شىء.

الببغاوان والملك وابنه

يحكى أن ببغاوين، أبًا وابنه

تعودا الجلوس على مائدة الملك.

وأمير وملك – أحدهما الابن والآخر الأب –

وكأنهما أنصاف آلهة

كانا يجعلان من هذين الطائرين ندماءهما[١] المفضلين.

ربطت الأيام بصداقة مخلصة بين هؤلاء جميعًا؛ الوالدان متحابان،

والابنان بالرغم من قلبهما العابث، أنس كل منهما للآخر،

يأكلان معًا، ويترافقان إلى المدرسة.

كان ذلك شرفًا كبيرًا للببغاء الصغير؛

لأن الطفل كان أميرًا، ووالده ملكًا.

---

(١) أصدقاؤهما يلازمانهما دائمًا.

وكان بطبيعته التى وهبه إياها القدر، يحب الطيور.

فأحب بجانب الببغاء بلبلاً مدللاً محبوباً من المنطقة كلها،

وكان الأمير يستمتع به.

وذات يوم، حيث كان الغريمان يلهوان معًا،

انقلب اللهو إلى مشاجرة ، كما يحدث مع الصغار.

ونال ذلك الطائر قليل الحنكة من زميله عضات شديدة

أوشكت أن ترديه قتيلاً،

فخرج يجر جناحيه لا يمكن أن يسترد حياته.

فأمر الأمير فى غضبه بقتل ببغائه.

فعلم الببغاء الأب بالخبر، وصرخ الأب المكلوم يائسًا،

ولكن دون جدوى؛ ذهبت صرخاته أدراج الرياح.

فالببغاء الصغير يرقد الآن فى الآخرة

ذلك الطائر الناطق الذى لم يعد ينطق جعل

أباه يستشيط غضبًا من ابن الملك؛

فهجم عليه، وفقأ له عينيه.

ثم هرب فى الحال واتخذ ملجأ له فى أعالى شجرة الصنوبر.

هناك بعيداً، فى أحضان الآلهة

حتى يتلذذ بانتقامه فى مكان آمن وهادئ.

أسرع إليه الملك شخصياً، وقال له ليجتذبه:

"فلتعد إلىّ يا صديقى، فبماذا يفيدنا البكاء؟

حقد وانتقام وحزن، فلننس ما حدث.

أنا مضطر لأن أعلن، برغم ألمى الشديد:

أننا نحن من بادرنا بالخطأ؛ وكان ابنى هو المعتدى.

كلا لم يكن ولدى! بل كان القدر هو المسئول عن الحادثة.

لقد كتب علينا القدر فى كتابه

أن أحد أبنائنا لابد أن تتوقف حياته،

وعلى الآخر أن يقاسى من هذا البلاء.

فلنواسِ بعضنا بعضاً، وعُد إلى قفصك."

قال الببغاء: "سيدى الملك، هل تعتقد أنه بعد مثل هذا الأذى

يمكننى أن أثق بك؟

أنت تتحجج بالقدر؛ أتعتقد بشرفك،

أنك تستطيع خداعى بكلامك المعسول؟

ولكن سواء كانت العناية الإلهية أو القدر هى ما يتحكم فى شئون الناس،

فقد كتب لى فى السماء، أنه على قمة هذه الشجرة،

أو فى إحدى الغابات البعيدة،

سوف أقضى حياتى بعيداً عن ذلك الأمر المشئوم،

الذى لابد أن يكون بالنسبة لك سبباً أكيداً للحقد والغضب.

أعرف أن الانتقام من عادة الملوك؛

لأنكم تعيشون كالأرباب.

أتريد أن تنسى هذه الإساءة؟ أنا أصدقك

بيد أنه من الأفضل لى أن أتجنب سطوتك ورقابتك.

سيدى الملك، يا صديقى، هيا؛ لا تضيع جهدك هباء

ولا تحدثنى أبداً عن العودة،

فالفراق علاج ناجح سواء للكراهية أو للحب،

وكأنها ضمادة توضع على الجرح."

اللبؤة[1] والدبة

يحكى أن لبؤة فقدت صغيرها؛

أخذه أحد الصيادين.

الأم الثكلى المسكينة كانت تطلق زئيرًا يزعج الغابة كلها.

لا الليل ولا ظلمته، ولا هدوؤه ولا سحره

نجح فى منع صراخ ملكة الغابة الصاخب؛

فلم يغمض جفن لأى حيوان فى الغابة.

وأخيرًا قالت لها الدبة:

"يا صديقتى، لى كلمة واحدة عندك: جميع الصغار الذين التهمتِهم،

أما كان لهم آباء وأمهات؟"

قالت اللبؤة: "بلى، كان لهم."

---

(١) أنثى الأسد.

فقالت الدبة: "إن كان ذلك، فلماذا لم يكدرنا أحد بموتهم؟،

وإن كانت الكثير من الأمهات قد صمتن

فما بالك لا تكفين أنت أيضًا عن النواح؟"

قالت اللبؤة: "أنا أسكت! أنا الثكلى التعسة ؟!

آه! لقد فقدت صغيرى، ولابد لى أن أقضى حياتى

فى شيخوخة مؤلمة!."

قالت الدبة: "أخبرينى، من الذى حكم عليك بهذا؟"

قالت اللبؤة: "إنه القدر الذى يكرهنى."

هذه الأقوال تجرى فى كل زمان على لسان الجميع.

أيها البشر البائسون، ذلك موجه لكم.

فلا أسمع منكم سوى صدى لشكاوى عابثة.

كل من يقع فى ضائقة كهذه يتصور أنه منبوذ من السماء.

فلينظر إلى مصائب غيره ويأخذ منها العبرة؛

عندئذ سوف يحمد الله على فضله.

الأرانـــب[1]

عندما تحين ساعة القنص

سواء حين يرسل الضوء أشعته فى النهار الرطب

أو حين تعود الشمس أدراجها

وقبل أن يسدل الليل أستاره،

فلا يكون النهار بعد

أتسلق شجرة على حافة الغابة،

ومن مكمنى هذا، أباغت بهدوء أرنبًا

لم يخطر ذلك بباله قط،

فأرى بقية الأرانب المنتشرة على الكلأ،

وأعينها متيقظة وآذانها متنبهة

---

(١) هذه الحكاية وردت فى العمل الأصلى تحت عنوان "خطاب موجه للكومت ديلاروشفوكوه" وتم إزالة ما يدل على ذلك منها حتى يتم فهمها بشكل أبسط. (المراجع)

تمرح وترعى الزعتر المعطر

وقد أطلقت جميعها سيقانها للريح

طلبًا للأمان، تلوذ بجحورها تحت الأرض

ولكن الخطر ينقشع ويذهب الخوف عنهم سريعًا،

وأجد الأرانب تقترب منى فرحة أكثر من ذى قبل.

ألا نرى البشر فى هذا الأمر؟

عندما يشتتهم الخطر، يهرعون إلى مرفأ الأمان،

وما أن يزول عنهم الخطر،

حتى يعودوا لنفس الرياح ولنفس العواصف.

هم ليسوا إلا أرانب تراها بين يدى القدر.

الأســــــــــد

يُحكى أن فى قديم الزمان، كان فهد ملقب بالسلطان

يقال إنه فى نعمة وحظ لا مثيل لهما،

له الكثير من العجول فى مراعيه، والكثير من الأيائل فى غاباته،

والكثير من الأغنام فى ربوع سهوله.

وحدث أن وُلد أسد فى الغابة المجاورة.

وبعد تبادل المجاملات بين كافة الأطراف،

مثلما يحدث بين الكبار،

استدعى السلطان وزيره الثعلب،

محنك ذو خبرة، وسياسى قدير، فقال له:

"أتخشى جارى، ذلك الشبل،

لقد توفى والده، ماذا بوسعه أن يفعل؟

الأفضل أن ترثى لحاله فهو يتيم مسكين.

فلديه عدة هموم،

وسوف يكون سعيد الحظ

لو استطاع الاحتفاظ بما لديه دون أن يحاول غزو جيرانه."

قال الثعلب وهو يهز رأسه:

"سيدى، مثل هؤلاء اليتامى لايثيرون شفقتى أبدًا؛

لابد أن تحتفظ بصداقة هذا الشبل[١]،

أو أن تحاول جاهدًا القضاء عليه

قبل أن تنمو مخالبه وأسنانه،

ويصبح قادرًا على إيذائنا.

لا تضيع لحظة واحدة.

لقد قرأت طالعه، سوف ينمو من خلال المعارك؛

ويصبح أفضل أسد على وجه الأرض بالنسبة إلى أصدقائه.

حاول أن تصادقه؛ وإلا فحاول أن تضعفه."

كانت النصيحة بلا جدوى.

---

(١) الأسد الصغير، جمعه (أشبال).

فقد ظل السلطان متواكلاً،

وهكذا كان حال جميع من فى مملكته،

سواء الحيوانات أو الناس، حتى صار الشبل فى النهاية أسداً حقيقياً.

ودق ناقوس الخطر ضد السلطان،

ويدأ الخوف يتسرب إليه من كل جانب

وعند استشارة الوزير فى الأمر قال متنهداً:

"لماذا تستفزه؟ لا وسيلة للعلاج.

من العبث أن ندعو ألفاً من الرجال لمعونتنا

كلما زادوا كلما كان ذلك مكلفاً ولا أراهم مفيدين

إلا فى التهام نصيبهم من الخراف.

هدئ من روع الأسد فقوته منفرداً صارت تربو على ذلك الحشد الضخم من الحلفاء ممن يعيشون على ممتلكاتنا.

أما الأسد فلديه ثلاثة حلفاء لا يكلفونه شيئاً،

هم: شجاعته، وقوته، مع يقظته.

ألق له سريعاً بخروف بين مخالبه،

لو لم يكتف بذلك، ألق له بما هو أكثر:

أضف إلى ما تلقيه أحد العجول، واختر لهذه الهبة

أسمن كل ما في المراعى.

وهكذا، تستطيع إنقاذ البقية."

لم تنل هذه النصيحة إعجاب السلطان.

لم يستوعبها جيداً

وساندته في رأيه الكثير من الدول

المجاورة

ولم يربح أحد منهم في المعركة، الجميع خسروا.

فمهما فعل كل هؤلاء

فقد كان من يرهبونه هو السيد المتحكم.

فكروا في اتخاذ الأسد صديقاً،

لو أردتم الإبقاء عليه حتى تقوى شوكته.

المُزارع، والكلب، والثعلب

الذئب والثعلب جاران غريبان،

حذار أن تبنى بالقرب منهما.

فالثعلب كان دائم الترصد لطيور أحد المزارعين،

ورغم أنه كان من أشد الثعالب مكرًا،

لم يتمكن من الحصول على أحدها؛

فكان الجوع من ناحية، والخوف من ناحية أخرى،

يشكلان بالنسبة له عقبة ليست بيسيرة.

ذات يوم، قال فى نفسه:

"أيسخر منى هذا المُزارع اللعين.

دون أن أنزل به عقابًا؟!

أروح وأغدو وأكِدّ وأتعب

وهذا الفظ غليظ القلب

ينعم فى بيته فى سلام،

فيتربح من كل ما يملك، وتتحول دواجنه إلى أموال

حتى أنه يُبقى منها للغذاء؛

وأنا السيد الذى يدين لى الجميع بالولاء، أكون فى غاية البهجة إن اقتنصت ديكًا عجوزًا!!

يا لتعاستى! لماذا خلقت ثعلبًا؟!"

تأججت رغبة الانتقام فى قلبه،

فاختار ليلة خلد فيها الجميع إلى الراحة،

واستسلم الجميع لنعاس عميق

سيد المنزل والخدم وحتى الكلب.

الفراريج والدجاج الكل نيام، والمزارع

قد ترك باب العشة مفتوحًا، يا لها من حماقة هائلة!،

ارتكبها سيد الدار.

حام اللص حول المكان المرتقب،

فقضى على كل من فيه وقتلهم تقتيلاً،

وبدت آثار جريمته واضحة مع بزوغ الفجر:

بدت الجثث الدامية متناثرةً ومضرجة بالدماء،

وأوشكت الشمس أن تنكسف من فرط امتعاضها.

وحمل الثعلب ما استطاع من الزاد وترك ما بقى متناثراً.

ولم يجد صاحب الدار بدًا من الصياح

فى وجه خدمه وفى وجه كلبه كالمعتاد:

"آه أيها الحيوان اللعين

إنك لا تستحق إلا الغرق

لماذا لم تحذرنا منذ بداية المذبحة؟"

قال له الكلب: "لماذا لم تتجنبها أنت، كان ذلك أفضل

إن كنت أنت، وأنت المالك وسيد الدار،

ويهمك الأمر، قد نمت دون أن تهتم بإغلاق الباب.

هل تريد منى أنا الكلب الذى لا يخصنى الأمر بشىء،

ولا صالح لى فيه أن أصاب بالقلق؟"

حقًا ما نطق به الكلب،

كلامه جدير أن ينطق به معلم جليل،

ولكن حيث إنه مجرد كلب يرى الجميع أنه لايساوى شيئًا؛
فانهال على المسكين ضربًا بالسياط.

وأنت أيضًا، مهما كان مركزك يا رب العائلة
(ولا أحسدك مطلقًا على هذا الشرف)
من الخطأ أن تنام و تعتمد على حراسة الغير
كن دائما آخر من ينام وأغلق بابك بنفسك
وإن كان هناك ما يهمك فافعله بنفسك ولا تدعه لمن ينوب عنك.

الأسـد والـقـرد والحـمـاران

يحكى أن الأسد، لكى ينجح كحاكم،

أراد أن يدرس الأخلاقيات.

فأرسل ذات يوم، فى طلب القرد، فقد كان أستاذًا فى فن الأخلاق

لدى عالم الحيوان.

فكان أول دروس ذلك المعلم هى:

"حتى يستقر حكم الملك العظيم،

على كل من يصغره من الأمراء أن يفضلوا

التفانى فى خدمة السلطة أفضل من إزكاء

ما اعتدنا أن نطلق عليه مشاعر عزة النفس؛

لأنه هو الدافع لجميع النقائص

التى نلحظها فى الحيوانات.

ورغبتك فى التخلص التام من تلك المشاعر،

ليس بالأمر الهين لتصل إليه فى غضون يوم واحد:

فمن الصعب كبح جماح تلك المشاعر

فمشاعر عزة النفس هى التى تربأ بشخصك الجليل

عن قبول أى شىء يكون سخيفًا ولا ظالمًا."

فأجابه الملك: "اذكر لى أمثلة عن هذا وذاك."

قال المعلم: "كل فصيلة، وسأتكلم أولاً عن فصيلتنا،

بل كل مهنة تُكِنّ انفسها تقديرًا عميقًا وترى غيرها جاهلاً

وتصفه بالسفاهة، وغير ذلك من مثل تلك الألفاظ التى تساوى شيئًا.

وعلى النقيض، فمشاعر عزة النفس،

ترفع من شأن أبناء الفصيلة الواحدة حيث تعتبر وسيلة رائعة

تمكّن الشخص من السمو بذاته أيضًا،

وأستنتج من كل ما تقدم

أن كل ما تعج به الدنيا من مواهب ما هى

إلا مظاهر وحيل ووسيلة للتفنن فى إثبات الذات

يتقنها الجهلة أكثر مما يتقنها أهل المعرفة."

وفى اليوم التالى، كان حماران يسيران على نفس النهج

كانا يمجدان بعضهما البعض تارة،

ويمتدحان بعضهما البعض تارة أخرى كالمعتاد؛

وسمعت أن أحدهما قال لزميله:

"سيدى، ألا ترى أن الإنسان ظالم وأحمق

(بسخرية) ذلك الحيوان الذى يعتبر كاملاً؟

إنه يدنس اسمنا العظيم، حين يصف الجاهل،

والثقيل الفهم والغبى بأنه حمار.

بل ويتجاوز أيضًا إلى الحد الذى يصف ضحكاتنا وأحاديثنا بالنهيق.

إن البشر يتسامرون بزعمهم أنهم يتفوقون علينا!

كلا، كلا، فلتتكلم إلى فقهائهم بأن يلزموا الصمت، فهؤلاء هم من ينهقون حقيقة. ولكن دعنا من هؤلاء الناس،

أنت تفهمنى وأنا أفهمك، وهذا يكفينا.

أما بالنسبة لما شنفت به الآذان من روائع أغانيك،

فالعندليب ذاته يعتبر حديث العهد بهذا الفن بالنسبة لك،

فقد تفوقت أنت على لامبير[1] نفسه."

فانبرى الغبى الآخر يجيبه:

"سيدى، ما يعجبنى فيك هو نفس ما امتدحته فىّ من خصال."

ولم يكتف هذان الحماران بتبادل الإطراء بينهما

فانصرفا إلى المدح، كل منهما يعدد مزايا زميله،

كان كل منهما يعتقد أنه يجيد إطراء أبناء جنسه،

ظنًا منه بأن المجد سيعود عليه هو.

أعرف الكثيرين ممن يشبهون هؤلاء،

ليس من بين الحمقى،

بل من بين من هم فى السلطة، ممن أنعم الله عليهم بأسمى الدرجات، ممن لا يترددون - فيما بينهم -

أن يتشبهوا وهم النبلاء،

إذا واتتهم الجرأة، بجلالة الملك ذاته.

---

(١) مطرب مشهور فى ذلك الوقت.

ربما أكون قد تحدثت فى ذلك الأمر أكثر مما ينبغى،

وأفترض أن جلالتك سوف تحتفظ بالسر،

فقد رغبتَ جلالتك فى تعلم ما يوضح لك

خصلة عزة النفس، التى تجعل الناس مثاراً للسخرية.

أما عن الظلم فستكون له دورة أخرى، فهو يحتاج لمزيد من الوقت."

هذا ما تحدث به القرد.

لم يقل لى أحد إن كان قد أثار النقطة التالية لأنها محرجة

ومعلمنا - الذى لم ينخدع -

كان يعتبر هذا الأسد بمثابة سيد مهيب.

الثعلب والذئب

يحكى أن ثعلبًا خرج ذات يوم والجوع يكاد يفتك به،

رأى القمر فى قاع البئر.

صورة القمر المستديرة المنعكسة على صفحة الماء،

بدت له كأنها قرص كبير من الجبن.

فأخذ ينزح الماء بدلوين متناوبين.

وإذ قرصه الجوع بأنيابه دفعه ذلك

إلى القفز بداخل الدلو المعلق أعلى البئر،

وظل الدلو على الطرف الآخر معلقًا.

وهكذا نزل إلى عمق البئر،

ولكنه ما أن اكتشف خطأه، حتى اشتد قلقه

وأدرك أنه هالك لا محالة؛ إذ كيف سيصعد ثانية،

ما لم يأت جائع آخر، تخدعه صورة الجبن المزعوم،

ويحذو حذوه وينتشله من تلك المحنة؟

ومضى يومان دون أن يقترب أحد من البئر

وقد اقتطع الزمن الذى لم يكف عن الدوران هاتين الليلتين

كعادته دائمًا

جزءًا من صفحة هذا الكوكب المستدير،

ذى الجبهة الفضية.

فتسرب اليأس إلى نفس الثعلب.

ولكن اتفق أن العم ذئب، مر بجوار البئر

وقد جف حلقه من العطش،

فقال الثعلب: "يا صاح، أريد أن أولك وليمة عظيمة:

هل ترى هذا؟ (مشيراً إلى صورة القمر الذى أخذ فى النقصان)

إنه جبن لذيذ الطعم، صنعته الآلهة من لبن البقرة المقدسة؛

حتى أن "جوبيتر" (كبير الآلهة) لا يستعيد صحته

حين يمرض إلا بمذاق هذه الوجبة.

لقد أكلت منها أنا ذلك الجزء المنقوص

وما تبقى يكفى لإطعامك.

فانزل بهذا الدلو الذى أعددته خصيصاً من أجلك."

استطاع الثعلب حبك القصة بقدر الإمكان،

وكان الذئب أحمقَ إذ صدَّقه.

فنزل بالدلو المقابل واستطاع ثقله أن يرفع كفة الدلو الأخرى

إلى أعلى، رافعاً معها صاحبنا الثعلب.

لا داعى للسخرية فكلنا نستسلم للخداع دون أساس

وكلنا نصدق بمنتهى السهولة ما نخشاه وما نرغب فيه.

القط والبلبلان

يحكى أن قطًا من عمر بلبل صغير جدًا،

كانا يسكنان معًا منذ أن كانا فى المهد.

كان القفص والسلة موجودين فى نفس البيت،

وكثيرًا ما كان الطائر يشاكس القط:

أحدهما يضارب بمنقاره، والآخر يتلاعب بأرجله،

ومع ذلك كان القط يحافظ على صديقه؛

فلا يعاقبه إلا لمامًا[١].

وكان يتقى تمامًا إبراز مخالبه من مكمنها.

أما الطائر فقد كان أقل تحفظًا

وكثيرًا ما كان ينقر القط.

---

(١) نادرًا.

وكشخص عاقل حكيم،

كان السيد القط يصفح عن ذلك اللهو،

فبين الأصدقاء لا ينبغى أبداً

الاستسلام إلى شطحات الغضب الشديد.

ولما كانا يعرفان بعضهما منذ نعومة أظفارهما،

فقد حفظتهما علاقتهما الطويلة فى وئام

فلم يتحول أبداً لعبهما إلى معركة حقيقية.

وحين جاءهما بلبل من الجوار

لزيارتهما وطلب رفقة

الطائر المشاكس والقط الهادئ،

نشبت معركة بين العصفورين،

فاتخذ القط صف صديقه قائلاً:

"هذا الغريب سوف نسخر منه لأنه أهان صديقنا!.

أيأتى بلبل الجيران ليتشاجر مع بلبلنا؟!

"كلا! أقسم بشرف القطط جميعاً!"

وعندها تدخل فى المعركة، فالتهم الطائر الغريب.

وهنا قال السيد القط: "حقًا إن البلابل ذات مذاق شهى ولذيذ!."

هذه الفكرة جعلته يلتهم العصفور الآخر.

ما هو المغزى الذى أستطيع استخلاصه من هذا الحدث؟

فبدونه يعتبر أى عمل ناقص.

أعتقد أننى أرى فيه بعض الأفكار،

ولكنى أضل فى خباياها أيها الأمير(١).

فهى بالنسبة لك مجرد ألعاب، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لشيطان شعرى!

فشياطين الشعر جميعًا لا يتمتعون بعقل كعقلك.

الصداقة التى كانت بين القط والعصفور صداقة هشة،

نظرًا لاختلاف النوع، ولا يمكن أن تقوم صداقة - فى عالم الحيوان - بين آكلى اللحوم، وآكلى العشب،

فى هذه الحالة سينطبق المثال الذى يقول:

"ما أدراك أن أباك ذئب؟"

---

(١) يوجه الشاعر قوله إلى الأمير الذى يهدى إليه الكتاب.

وذلك بناء على ما جاء فى حكاية الراعى والذئب:

أن راعى غنم وجد ذئبًا صغيرًا لا أم له ولا أب،

فرباه واهتم به ونشأ بين الأغنام وكلاب الحراسة وكبر.

وذات يوم جاء الراعى فوجده قد افترس غنمة من أغنامه،

حينئذ قال الراعى:

"وما أدراك أن أباك ذئبًا."

العنـــــزتـــــان

يُحكى أن عنزتيـن

عن الثروة تبحثـان،

فضربتـا فى الأرض

تقصدان المراعى الخصبة

التى تكاد تخلو من الإنسان

هناك حيث لا طرق ممهدة

سوى صخور وجبال تطل على وهدة [1].

فى هذا المكان ستنطلق العنزتان

ولاشىء يحول دون تحقيق بغيتهما،

والقفـز كان هوايتهمـا.

عنزتان متحررتان لهما سيقان بيضـاء.

---

(١) هوة سحيقة - جرف عميق.

بيد أن[1] هناك جدول مـاء يعترضـهمـا،

وليس هناك جسر سوى لوح خشبى صغير يسمح بالكاد بعبور عرستين،

والجدول عميق والتيار سريع

يبعث الرعب فى قلب هاتين الجريئتين.

ومع الرعب المحدق بهما،

تقدمت الأولى والثانية تتشابك أرجلهما؛

وهكذا تقدمتا خطوة فخطوة

ورأسـًا بـرأس شامختين.

وعند منتصف الجسر،

أبت كل من المغامرتين أن تتنازل عن مكانها للأخرى.

فكل منهما كانت معتزة بنفسها،

–كقول الرواية–

تريد أن تفوز بلا منازع

فسقطتا معًا فى الماء لعنادهما.

وهذا الحادث ليس بجديد

فى طريق البحث عن الثروة والسعادة.

---

(١) غير أن.

المؤلف فى سطور:

جان دو لافونتين

ولد جان دو لافونتين فى ضواحى مقاطعة (شامبانيا أو كامبانيا)، فى (شاتو - تييرى)، بتاريخ ٧ أو ٨ من يوليو عام ١٦٢١، من والدين بورجوازيين، توفى فى باريس عام ١٦٩٥ .

أما عن طفولته ومرحلة شبابه؛ فلا يتوافر عنها الكثير من المعلومات، غير أنه كان يكره الأساتذة والطلبة، ولا يعرف سبب ذلك. ولكن لا شك أن المدرسة الثانوية فى بلده - مسقط رأسه - هى التى كانت السبب فى التأثير عليه وتركت فى نفسه هذه الذكرى السيئة.

فى عام ١٦٤١ التحق بالأوراتوار الذى له طابع دينى، ويعمل أعضاؤه على خدمة الدراسات الكلاسيكية الصعبة للوعظ والإرشاد.

لا شك أنه لم يعجب باللاهوت ولكنه أعجب بدراسة الأدب الدنيوى الذى درسه فى المدرسة الثانوية.

بعد ثمانية عشر شهراً، أدرك لافونتين خطأه، وغير مساره ودرس القانون؛ لأنه فى عام ١٦٤٩ عُرف بلقب محام فى برلمان باريس.

وفى عام ١٦٤٧ تزوج من مارى هيريكار ابنة أحد الضباط وهى فى الرابعة عشرة والنصف من عمرها. أنجب منها طفلاً استولى على كل اهتمامه لدرجة أنه أهمل زوجته.

أعماله :

ظهر أول عمل له من الحكايات فى ربيع ١٦٦٨ بعنوان (حكايات مختارة بقلم الشاعر لافونتين) توالت بعد ذلك حكاياته فى الظهور فى كتاب ثانٍ وثالث، وصدر آخر عمل له فى عام ١٦٩٤؛ أى قبل وفاته بعام واحد.

لم يتأثر لافونتين بالشعراء اللاتين واليونانيين مثل هوميروس وهوراس وفيرجيل وإيزوب فحسب، بل استلهم أيضًا من الشرق وحكايات الشرق وفلاسفته من الهند وفارس والحكمة التى يشتهرون بها، أمثال (بيدبا) الهندى، ولهم أعمال مترجمة إلى الفرنسية، ومنها المترجم إلى العربية مثل (كليلة ودمنة).

ويقول لافونتين فى حديثه عن الشاعر اليونانى مؤلف الحكايات (إيزوب):

"إذا أضفت ما عندى إلى ما يؤلفه؛ فذلك لأصور عاداتنا وتقاليدنا، وليس مطلقًا على سبيل الحسد".

ملحوظة:

يُطلِق لافونتين على كل مجموعة حكايات يصدرها عنوان (كتاب)، لذلك أعماله مقسمة إلى ١٢ كتابًا، أى ١٢ مجموعة مهداة إلى شخصية كبيرة من شخصيات المجتمع.

وهذا الكتاب الشامل الذى نحن بصدده مُزود بقاموس صغير يفسر الكلمات، خاصة القديمة، وملحق به مرجع صغير للقواعد النحوية، وفهرس أبجدى للحكايات.

المترجم فى سطور:

مصطفى كامل خليفة

• حاصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الفرنسية من جامعة القاهرة عام ١٩٧٣

• حاصل لى دبلوم الترجمة الفورية فى اللغة الفرنسية عام ١٩٨٢

• عمل مترجمًا فى جهات كثيرة بجمهورية مصر العربية مثل وزارة الداخلية، من ١٩٦٦-١٩٧٣

• عمل بوزارة الدفاع السعودية، مترجم فورى وتحريرى من ١٩٨٣ إلى ١٩٨٩

• له عمل مترجم من الفرنسية إلى العربية للمؤلف الفرنسى الكبير "أناتول فرانس" الحاصل على جائزة نوبل عام ١٩٢١

اسم العمل: "الآلهة عطشى" صدر عن الدار المصرية اللبنانية للطباعة والنشر والتوزيع عام ٢٠٠٠

ويعمل فى مجال الترجمة حتى الآن فى جميع المجالات.

عضو فى اتحاد الكُتَّاب.

المراجع فى سطور:

جينا بسطا

حصلت الدكتورة جينا بسطا على درجة دكتوراة الألسن فى اللغة الفرنسية وآدابها عن رسالة "الفكر الاشتراكى لجول فاليس من خلال ثلاثية جاك فينتراس" مع مرتبة الشرف الأولى.

وتعمل حاليًا بتدريس تاريخ الأدب والحضارة والنقد الأدبى بقسم اللغة الفرنسية بكلية الألسن جامعة عين شمس.

ولها عدد من الأعمال والمقالات المترجمة من وإلى اللغة العربية، وكذلك إسهامات عديدة فى إطار مشروع تصدير الفكر المصرى إلى الخارج ومشروع سلسلة كتب الجوائز للهيئة المصرية العامة للكتاب.

التصحيح اللغوى : رفيق الزهار
الإشراف الفنى : حسن كامل